ارسين لوبين

الفيل الأبيض

مغامرات " أرسين لوبين "

ذو الشخصيّة الفذّة في إقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوّقت على كل الشخصيات البوليسية التي تُصوّر الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنّما يُكرّس حياته للكشف عن الجريمة وتعقّب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنّه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصّهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدّى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أُطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يُجيد التنكّر ويظهر في شخصيات متعدّدة.

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.	قطر	٨ ريال	Canada	6 $
سوريا	٦٠ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة	U.K.	2 £
الأردن	٧٥٠ فلس	مصر	٣ جنيه	U.S.A.	4 $
السعودية	٨ ريال	المغرب	١٥ درهم	Greece	1500 Dr[illegible]
الكويت	٦٠٠ فلس	ليبيا	[illegible]	Cyprus	2[illegible]
الإمارات	٨ دراهم	تونس	[illegible]	France	20 [illegible]
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	[illegible]		

(١)

السندات المسروقة

كان أول ما فعله مسيو "جاسير" حين استيقظ من نومه أنه أرسل بصره إلى الطاولة القريبة من فراشه .. ليتحقق من وجود حزمةالسندات التي جاء بها معه في المساء .

اطمأن إلى وجودها حيث وضعها .. فنهض من فراشه .. وشرع يرتدي ثيابه ..

كان مسيو "جاسير" رجلا قصير القامة بدين الجسم .. يشتغل بالمضاربات والأعمال المالية .. وقد استطاع بجده ونشاطه ان يكتسب عددا كبيرا من العملاء الذين ائتمنوه على أموالهم .. فوضعوا بين يديه كل ما ادخروه .. وراح هو يعمل على تنمية هذه الأموال .. ووفق في ذلك إلى ابعد حدود التوفيق بفضل نجاحه في بعض المضاربات الجريئة .. وبفضل الأرباح الباهظة التي كان يجنيها من إقراض المال بالربا الفاحش ..

كان رجلا مدبرا شحيحا . وقد عز عليه ان يدفع اجرة خادمة تقوم بتدبير شؤون البيت .. فاتفق مع حارسة الباب على أن تقوم بهذه المهمة . وهي امرأة كبيرة الجسم نشيطة .. فكانت تحمل إليه الرسائل في الصباح وتضع له طعام الفطور .. ثم تقوم بتنظيف البيت .. وتنصرف بعد ذلك إلى عملها الأساسي .. وهو حراسة الباب الخارجي..

ففي صباح ذلك اليوم .. قامت حارسة الباب بعملها كالمعتاد وانصرفت من بيت مسيو "جاسير" في منتصف الساعة التاسعة. وبقي هذا الأخير وحده يتناول طعام الفطور وينتظر قدوم موظفيه كالمعتاد ..

تناول الرجل طعامه في هدوء .. وفض رسائله وقرأها .. ثم راح

يلقي نظرة على إحدى الصحف ..

وبينما هو يفعل ذلك .. إذا به يسمع فجأة حركة في غرفة نومه .. فتذكر في الحال حزمة السندات التي تركها على المائدة .. ووثب إلى غرفة النوم بسرعة .. وكانت نظرة واحدة إلى الطاولة كافية لأن تدل على أن حزمة السندات قد اختفت .

وكان لغرفة النوم باب اخر يؤدي إلى السلم .. وقد اعتاد مسيو "جاسير" أن يبقيه مغلقا .. غير انه لاحظ وهو يدخل الغرفة ان هذا الباب قد اغلق بعنف .. فهجم عليه .. وحاول ان يفتحه .. ولكن الباب لم يكن ليفتح إلا بالمفتاح .. وهو قد اعتاد ان يحفظ المفتاح في درج مكتبه ..

فكر الرجل في الأمر بسرعة .. وقال لنفسه :

- إذا أضعت الوقت في البحث عن المفتاح . فر المجرم دون ان يراه أحد ..

قال ذلك واسرع إلى النافذة التي تطل على الشارع ففتحها .. واطل منها ليرى السارق إذا حاول الخروج .

وكان الشارع خلوا من المارة .. فاطمان مسيو"جاسير" إلى ان السارق لايزال في المنزل ..

وعلى الرغم من انزعاج الرجل وشدة ذعره وهلعه .. فإنه لم يفكر في الاستغاثة وطلب النجدة .. إلى أن رأى بعد دقيقة او دقيقتين احد موظفيه مقبلا من الشارع المجاور فصـاح به :

- اسرع .. أسرع يا "سارلونيه" .. ادخل المنزل واغلق الباب ولا تدع احدا يخرج .. إنني سرقت يا "سارلونيه" . والسارق لايزال في المنزل.

ومازال يطل من النافذة حتى رأى "سارلونيه" يدخل المنزل ويغلق الباب .. فتنفس بارتياح .. وهبط السلم مسرعا .. ووجد "سارلونيه" واقفا بجانب الباب .

ساله في لهفة :

- ألم تر أحدا يا "سارلونيه" .. ؟

- نعم ياسيدي لم ار احدا ..

- الم يخرج احد ؟

- نعم لم يخرج احد ..

فاسرع إلى غرفة حارسة الباب .. فوجدها تشتغل بتنظيف غرفتها فصاح بها :

- لقد سرقوني .. الم يدخل احد غرفتك ؟ . الم يختبئ عندك؟..

- نعم لم يدخل احد يا مسيو "جاسير"

- هل انت واثقة ؟

- إنني لم ابرح هذه الغرفة منذ فرغت من تنظيف بيتك ..

- الم يخرج احد ؟ ..

- نعم لم يخرج احد ..

- معنى هذا إذن أن السارق صعد السلم بدلا من أن يهبط .. يا الهي .. هذا مخيف ..

ثم صعد إلى بيته مسرعا .. وتناول سماعة التليفون وهتف :

- الو .. الو .. يا مدموازيل .. اريد الاتصال حالا بإدارة البوليس .. إدارة البوليس ؟ هل المفتش "جانيمار" موجود ؟ اريد التحدث إليه بسرعة .. انا " بيير جاسير" من رجال الأعمال .. ومسيو "جانيمار" من عملائي .. اريد الاتصال به حالا.. الو .. الو .. اهذا انت يا "جانيمار" ؟ شكرا لله .. نعم .. كل شئ على ما يرام .. او بالحري كل شيء ليس على ما يرام .. لقد سرقت سنداتي المالية .. يستحيل عليك الحضور ؟ لانك حصلت على إجازة ؟ ولكن اي شان لي بإجازتك ؟ احضر حالا .. حالا .. فسنداتك قد سرقت ضمنا مع الحزمة التي فقدت من غرفتي ..

وقد سب "جانيمار" وشتم ووضع السماعة بعنف دل على مبلغ اهتمامه وانفعاله .. فاطمان مسيو "جاسير" إلى أن مفتش البوليس لن يبطئ في الحضور ..

والواقع انه لم تكد تنقضي بضع دقائق ، حتى وقفت سيارة بالباب وهبط منها "جانيمار" وهو منقلب السحنة .

فصاح عندما وقع بصره على "جاسير" :

- سنداتي ! .. أين سنداتي التي ابتعتها بكل ما ادخرته من مال ؟

- إنها سرقت مع سنداتي وسندات جميع زبائني .

- سرقت ؟ ..

- نعم .. سرقت من غرفتي منذ نصف الساعة .

- يا للسماء .. وما الذي جاء بسنداتي إلى غرفتك ؟

- إنني سحبتها امس من بنك "الكريدي ليونيه" لاودعها في بنك فرنسا ..

- إنك المسؤول يامسيو "جاسير" .. وعليك أن تدفع لي قيمة سنداتي.

- ومن أين المال ؟ إنني خربت .. افلست ..

- خربت / افلست .. وهذا المنزل .. الا تملك هذا المنزل؟..

وحدث في هذه اللحظة أن فتاتين من سكان المنزل أرادتا الخروج فصاح "جانيمار" في غضب :

- كلا .. يجب الا يخرج احد .. يجب الا يخرج احد قبل أن اجد سنداتي ..

- هل تظن اننا سنحتاج إلى معونة ؟ إذا شئت فإنني استعين بصبي البقال او صبي القصاب لمنع سكان المنزل من الخروج ..

- كلا .. إننا لسنا بحاجة إلى معونة صبيان البقالين والجزارين، ولكن إذا كان لابد من الاستعانة باحد .. فالواجب الاتصال تليفونيا في الحال بمكتب "باربيه" المحامي

ثم يجب كذلك إبلاغ الأمر إلى البوليس ، ولكن لا ، إن في هذا مضيعة للوقت .. يجب أن نشرع في العمل حالا ..

قال محدثا مسيو "جاسير" :

- يجب أن نعمل في هدوء ورزانة ، إننا مازلنا نسيطر على الموقف ، ولايزال في مقدورنا ان نضع ايدينا على السندات قبل أن يستطيع السارق تهريبها من المنزل .. المهم الا يخرج أحد ..

ثم راح يستجوب الفتاتين .. فعلم أن إحداهما تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة .. وأن الثانية تعطي دروسا في البيانو .. وانهما تريدان الخروج لابتياع حاجتهما من الطعام.. فقال لهما "جانيمار" بإصرار :

- يؤسفني جدا انني مضطر إلى منعكما من الخروج وسيبقى باب هذا المنزل مغلقا طيلة هذا اليوم ..

يا مسيو "جاسير" .. ضع اثنين من موظفيك هنا لحراسة الباب.. وعلى الثالث ان يقوم بقضاء حوائج سكان المنزل .. وربما استطعت بعد الظهر أن ارخص للسكان في الخروج.. وعندئذ يتعين تفتيش كل حزمة .. وكل علبة أو صندوق يخرج به احد السكان من المنزل ..

والآن هلم بنا إلى العمل ..

كان المنزل يتكون من ثلاثة طوابق .. يقيم مسيو "جاسير" في اولها.. ويقيم في الثاني مسيو "توفمون" عضو مجلس النواب واحد الوزراء السابقين ..

اما الطابق الثالث .. فكان مقسما إلى قسمين .. تقيم في احدهما الآنسة "ليجوفيبه" التي تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة. وتقيم في الثاني الآنسة "هافلين" معلمة البيانو ..

وقد علم "جانيمار" من حارسة الباب أن مسيو "توفمون" خرج من المنزل في منتصف الساعة السادسة .. وقصد إلى مجلس النواب ليتولى رئاسة إحدى اللجان البرلمانية ولاينتظر أن يعود قبل الظهر .. ولذلك اضطر "جانيمار" إلى أن يؤجل تفتيش الطابق الثاني إلى أن يعود النائب .. وقصد إلى الطابق الثالث ففتشه تفتيشا دقيقا، ثم فتش سطح المنزل والطابق الذي يقيم به مسيو "جاسير" نفسه..

ولكن بغير جدوى ..

وحوالي الظهر ، عاد النائب "توفمون" وهو رجل وقور وسياسي حازم اكتسب احترام جميع الأحزاب ..

وقد اشتهر هذا الرجل بحافظة أوراقه الضخمة التي لا تفارقه أبدا منذ كان وزيرا .. واشتهر كذلك بانه قليل الكلام في مجلس النواب ..

ولكنه كان إذا تكلم .. أو وجه إلى الحكومة استجوابا .. ارتجف أعضاء الوزارة إشفاقا على كراسيهم .. دخل هذا الرجل المحترم البيت بخطى بطيئة متزنة .. ودلف إلى غرفة حارسة الباب لياخذ رسائله .. فلحق به مسيو "جاسير" هناك .. وسرد له تفاصيل الحادث.

وقد أصغى إليه النائب باهتمام .. ووعد بان يستخدم نفوذه لدى رجال البوليس إذا ابلغهم مسيو "جاسير" الأمر . واصر على أن يفتش القوم منزله ...

قال :

- من يعلم ؟.. ربما كان بعضهم قد استطاع أن يصطنع مفتاحا لشقتي وأن يخفي السندات المسروقة بين امتعتي .

- فتعاون "جاسير" و "جانيمار" على تفتيش بيت النائب .. ولكنهما لم يعثرا فيه على اثر للسندات .

وأخيرا قرر الرجلان أن يتناولا طعام الغداء في مطعم صغير يقع في مواجهة المنزل .. وكان في استطاعتهما وهما في المطعم أن يرقبا باب المنزل ..

ولم يشعر "جانيمار" بقابلية للطعام .. إذ افقدته خسارة سنداته كل شهية .. وكذلك كان حال مسيو "جاسير" الذي لم يفتا يشكو الدوار .. فترك الرجلان صحاف الطعام .. وراحا يقلبان المشكلة على جميع وجوهها وكل منهما يحاول أن يجد عند الآخر ما يبعثه على الاطمئنان

- إن المسالة غاية في الوضوح .. فقد استطاع أحدهم أن يدخل غرفتك ويسرق السندات .. ولكن أحدا لم يبرح المنزل.. وهذا معناه بالتاكيد أن السارق لا يزال موجودا بالمنزل .. وكذلك السندات ..

- هذا صحيح ..

- وإذن فسنداتي لا تزال في المنزل .. اللهم إلا أن تكون قد طارت من إحدى النوافذ .. وهذا بالتاكيد ..

ولم يتم "جانيمار" كلامه .. وارتسمت في عينيه فجاة علامات الذعر والرعب .

راح يحملق إلى رجل راه يجتاز الشارع .. ويقترب من باب البيت ..

- هو ذا "باربيه" .. يا للسماء ! ماذا جاء به إلى هنا ؟ فقال "جاسير" في شيء من الاضطراب :

- ألم تقل لي إننا نستطيع الاستعانة بالمحامي "جان باربيه" ؟ لقد شعرت بحرج الموقف .. ورأيت أننا لن نخسر شيئا إذا أشركناه معنا في البحث . فاتصلت به تليفونيا..

- ولكن هذا هو الجنون بعينه .. من ذا الذي يتولى التحقيق هنا.. أنا أم أنت ؟ ..إن " باربيه" يجب ألا يكون له شأن معنا .. يجب ألا يدخل هذا المنزل .. هل فهمت ؟ إنه دخيل ينبغي علينا أن نحذره . كلا، كلا . إننا نستعين بالثعابين ولا نستعين بهذا الرجل وشعر " جانيمار" فجاة بأن الاستعانة بـ "باربيه" في هذا الحادث خطر شديد لا تؤمن مغبته ..

شعر بانه إذا دخل المنزل ووضع إصبعه في الحادث . واهتدى إلى مكان السندات . فإنه لن يتردد في وضعها في جيبه . خصوصا إذا علم أن بعض هذه السندات تمثل كل الثروة التي جمعها طيلة حياته..

استولى عليه الغضب فنهض مسرعا . وعبر الشارع . ووصل إلى باب المنزل في الوقت الذي هم فيه " باربيه " بأن يقرع الباب..

- اذهب من هنا .. لسنا بحاجة إليك . لقد اتصلوا بك خطأ . اذهب..

- ماذا دهاك أيها العزيز " جانيمار" .. أراك حانقا بلا مبرر ..

-لا عمل لك هنا .... فانصرف . وباسرع ما يمكن ..

- لابد إذن أن ما قيل لي تليفونيا صحيح . وإذن فقد سلبوك أموالك المدخرة أيها المسكين " جانيمار" ... ألست بحاجة إلى مساعدة ... ؟

- قلت لك اذهب من هنا ... وباسرع ما يمكن . أنا أفهم معنى مساعدتك . إنك تبدأ دائما بمساعدة نفسك قبل أن تساعد غيرك..

- أخائف أنت على سنداتك ؟

- نعم .. إذا وضعت إصبعك في الموضوع فلن أرى سنداتي أبدا ..

- إذن دعنا من هذا الموضوع .... واغرب عن وجهي ..

- قلت لك : إنني لا أسمح لك بالدخول ..

- لست بحاجة لأن تسمح لي .... إن لي عملا في هذا المنزل .. ولا بد أن أدخل ...

وكان مسيو " جاسبير" قد لحق بهما .... فالتفت إليه " باربيه" وقال له :

- عفوا يا سيدي .... هل تقيم بهذا المنزل آنسة تشتغل بتعليم البيانو تدعى الآنسة " هافلين"

- إنك لا تعرف هذه الآنسة ولا شأن لك بها ، إنك قرأت اسمها الآن على اللوحة النحاسية المثبتة على الجدار ..

- ماذا تعني ؟ أليس من حقي أن أتلقى دروسا في البيانو؟

- تستطيع أن تتلقى ما شئت من الدروس في غير هذا المنزل.

- أنا آسف جدا .. ولكني شغوف بدروس الآنسة"هافلين"..

- إنني أمنعك منعا باتا من ..

فلم يعبأ به " باربيه" .. بل قطب حاجبيه .. وشق طريقه إلى المنزل ودخل بقدم ثابتة .... فشيعه " جانيمار" بنظرة قلق .... وراح يرقبه وهو يصعد السلم دون أن يجسر على منعه ...

ولا شك أن " باربيه" استطاع بسهولة أن يتفق مع الآنسة"هافلين" .. لأن جو المنزل ما لبث أن امتلأ بأنغام البيانو. غمغم "جانيمار" في غضب وقد تضاعف يأسه وخوفه على سنداته :

- قبحه الله .... ماذا نستطيع أن نفعل مع هذا الشيطان ؟ ..

ثم استأنف العمل ففتش غرفة حارسة الباب .. وفتش سطح المنزل مرة أخرى ..

وظلت أنغام البيانو تنبعث من الطابق الثالث بغير انقطاع ..

- كيف يستطيع الإنسان العمل وسط هذه الضوضاء ؟

وحوالي الساعة السادسة . صمت البيانو ورأى "جانيمار" غريمه

"باربيه" وهو يحاول الانصراف وفي يده علبة من الورق المقوى ..

يا الله .. إن السندات في هذه العلبة بغير شك ..

هجم عليه ، وانتزع العلبة من يده .. وفتحها .. لم يجد بها سوى بعض أوراق ممزقة .. وقبعات قديمة ، وقطعة من الفرو أكلها العث.

- لما كانت الآنسة "هافلين" لا تستطيع مغادرة المنزل ، فإنها توسلت إلي أن أحمل هذه الأشياء لألقي بها في صندوق المهملات والقاذورات..

يا الله .. ما أجمل هذه الفتاة يا "جانيمار" .. وما أبرعها في العزف على البيانو .. إنها تعتقد أن استعدادي عظيم لتعلم البيانو. وقد أكدت لي أنني إذا واظبت على تلقي الدروس عندها فإنني أصبح في أقرب وقت أبرع من يستجدي بالعزف على البيانو في الشوارع وعلى أبواب الكنائس. وقضى "جانيمار" و"جاسبير" طول الليل في حراسة المنزل .

فرابط أحدهما في الخارج ، ورابط الثاني في الداخل لتفتيش من يريد الخروج. وخوفا من أن يلقي السارق بحزمة السندات من إحدى النوافذ لشريك له في الشارع ..

وفي صباح اليوم التالي ، استأنف الرجلان العمل .. ولكن بغير جدوى ..

وحوالي الساعة الثالثة .. أقبل "باربيه" حاملا في يده علبة الورق التي أفرغ محتوياتها في اليوم السابق ..

ووقع بصره على "جانيمار" فحياه بابتسامة وصعد السلم مسرعا ..

وما هي إلا لحظة حتى بدأ درس البيانو .. وامتلأ جو المنزل بالأنغام المزعجة ..

قال لنفسه :

- ترى ماذا يفعل هذا الشيطان الآن ؟ لاشك أنه يبحث عن سنداتي ..

وصعد السلم مسرعا .. وألصق أذنه بباب الطابق الثالث .. وأصغى باهتمام ..

لم يسمع أية حركة في شقة معلمة البيانو ، ولكنه سمع صوتا

خشنا منبعثا من شقة الفتاة التي تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة

قال لنفسه :

- هذا صوته ..

واستولى عليه فضول شديد لم يطق معه صبرا .. فطرق الباب. وأجابه صوت "باربيه" من الداخل :

- ادخل . إن الباب مفتوح

فدخل "جانيمار" .. ورأى الآنسة "ليجوفييه" - وهي فتاة سمراء على جانب عظيم من الجمال - جالسة امام الآلة الكاتبة .. و"باربيه" يملي عليها كلاما

- هل جئت تتجسس علينا ؟ لا تتعب نفسك .. فالآنسة ليس عندها ما تخفيه .. وأنا كذلك .. إنني املي عليها مذكراتي ..

ثم التفت إلى الفتاة وراح يملي عليها :

" وفي ذلك اليوم .. فاجاني المفتش "جانيمار" في غرفة الآنسة "ليجوفييه" الحسناء ، التي عرفتها عن طريق معلمة البيانو. فشرع يجيل الطرف في انحاء الغرفة باحثا عن السندات المفقودة. ولكنه لم يجد سوى حذاء قديم تحت أحد المقاعد ، فيالله. ما أشق مهنة رجال البوليس ! "

فنظر إليه "جانيمار" شزرا ، وتركه وانصرف ، واستانف "باربيه" إملاء مذكراته ..

وبعد قليل ، هبط "باربيه" السلم ، متابطا تلك العلبة المصنوعة من الورق

وراءه "جانيمار" .. ووقف مترددا ..

ترى ماذا يحمل الشقي في هذه اللعبة ؟

واشتد به الخوف فجاة .. فاقترب من "باربيه" وتناول العلبة وفتحها .. ولكنه لم يجد بها سوى قصاصات من القماش وبعض جرائد قديمة .

وهكذا اصبحت حياة "جانيمار" لا تطاق ...

كان منتظر "باربيه" وهو يدخل ويخرج يثير غضبه وحنقه .. وكانت علبة الورق التي لا تفارق "باربيه" كلما دخل او خرج تثير ريبته وشكوكه .. ولكنه لم يشا أن يترك شيئا للظروف والمصادفات. فراح يفتش العلبة كلما رآها .. خوفا من ان يستخدمها "باربيه" في تهريب السندات ..

وفي كل مرة كان "باربيه" يقهقه حتى يستلقي على قفاه .

وكانما أراد أن يزيد من حنق مفتش البوليس وغيظه وحيرته .. فكان يقول له :

- إن السندات هنا .. وليست هنا .. فتش عنها . تجدها ..

ولم يعد في استطاعته هو ومسيو "جاسير" أن يمنعا سكان المنزل من الذهاب إلى اعمالهم .. وكل ما هنالك أن السكان سمحوا لهما بتفتيشهم كلما خرجوا .

وشاع امر الكارثة التي نزلت بمسيو "جاسير" .. فاقبل عليه عملاؤه يطالبونه باموالهم وودائعهم .. وازدحموا حوله في مكتبه .. واصبحت الحالة في المنزل لا تطاق

وبرم النائب "توفمون" بهذه المضايقات فنصح لمسيو " جاسير" بإبلاغ الامر إلى البوليس ..

وتحرج الموقف واصبح لا يطاق ..

وفجاة حدث امر عجل بالنتيجة .. فقد سمع "جانيمار" و"جاسير" بعد ظهر احد الأيام ضجة شديدة في الطابق الثالث ووصلت إلى آذانهما صيحات نساء وسب وصخب . فصعدا إلى ذلك الطابق على عجل .. وهناك وجدا الفتاتين "هافلين" و"ليجوفييه" وقد أخذت كل منهما بخناق الأخرى وراحتا تتضاربان وتتشاجران .. و"جان باربيه" بينهما يحاول أن يفصل بينهما ويضع حدا للمعركة .

وقد نجح "باربيه" أخيرا في التفريق بينهما . ولكن بعد أن تمزقت ثيابهما .. وانكشف صدراهما .

واستولت نوبة عصبية على الآنسة "ليجوفييه".. فحملها إلى

شقتها وبقيت "هافلين" وحدها أمام الباب .. فراحت تنفث غضبها. صاحت :

- إنني فاجأتهما معا .. فاجأت "باربيه" وهو يقبلها .. لقد سرقته مني لأنه غازلني أولا .. وأنا التي قدمته إليها . وعرفته بها.

إنه مخلوق عجيب غامض ! فسله يا مسيو "جانيمار" ماذا كان يعمل هنا طيلة الأسبوع الماضي .. ولماذا يستجوبنا .. ويفتش هنا وهناك .. نعم إنه يعرف سارق السندات .. وقد قال لي بلهجة التأكيد إن حارسة الباب هي التي سرقت السندات .. وطلب إلي ألا أذكر ذلك لكائن من كان ..

هذا الرجل يعرف كل شيء .. ويعرف موضع السندات المسروقة. وقد قال لي مرة :"إن السندات في المنزل وليست فيه" .. فاحذر هذا الرجل يا مسيو "جانيمار" .. إنه ..

وفي هذه اللحظة .. أقبل "باربيه" فأمسك بساعد "هافلين" .. ودفعها إلى شقتها وهو يقول :

- تعالي يا معلمتي .. ولا تتكلمي فيما لا علم لك به .. إنك لا تجيدين شيئا غير العزف على البيانو .. أما فيما عدا ذلك فإنك تتخبطين ..

ولم ينتظر "جانيمار" أكثر من ذلك .. فقد أضاءت كلمات "هافلين" السبيل أمامه ..

نعم .. لم يكن ثمة شك في أن حارسة الباب هي التي سرقت السندات فكيف لم يخطر له ذلك ببال ؟

استولى عليه الحنق .. فهبط السلم مسرعا .. ومسيو "جاسير" في أثره ..

وقد وجدا حارسة الباب في غرفتها .. فصرخ "جانيمار" في وجهها:

- أين سنداتي ؟ أين أموالي ؟ إنك أنت التي سرقت السندات .

- ماذا فعلت بالسندات أيتها اللصة ؟ ..

وهكذا مرت بحارسة الباب ليلة مخيفة .. أعقبها يومان حافلان

بالمتاعب والأسئلة .. والسب والصخب ، ولم يتطرق قط إلى ذهن "جانيمار" أن "باربيه" أخطأ في اتهام المرأة التعسة .. خصوصا وأنه وجد أن هذا الاتهام يفسر كثيرا مما غمض عليه ..

والواقع ، أن حارسة الباب هي المخلوقة الوحيدة التي كان في استطاعتها أن ترى حزمة السندات فوق المائدة ، وهي كذلك المخلوقة الوحيدة التي تحتفظ في غرفتها بمفاتيح مزدوجة للطابق الذي يقيم به مسيو "جاسير"، فمن البديهي إذن وهي التي تعرف عادات مسيو "جاسير" وطباعه كما لا يعرفها سواها ، أن تكون قد انتهزت فرصة وجوده في مكتبه ففتحت الباب الخارجي لغرفة نومه ، وحملت رزمة السندات وانطلقت بها إلى غرفتها حيث وجدها مسيو "جاسير" هناك فيما بعد ..

- لاشك في أن هذه التعسة هي سارقة السندات ، ولكن سواء أكانت هي السارقة أم كان سواها فالمهم أن نجد السندات .. أنا أقرر أنها حملت السندات إلى غرفتها ، ولكن بأية معجزة استطاعت أن تخفي السندات في خلال الفترة بين الساعة التاسعة صباحا - أي موعد السرقة - والساعة الواحدة .. وهو الوقت الذي فتشنا فيه غرفتها ؟

هذه هي المعضلة الحقيقية ..

وعبثا حاول "جانيمار" أن يحمل المرأة على الكلام ..

سألها في رفق .. وهددها وتوعدها .. ولكن بغير جدوى .. لأنها أصرت على الإنكار التام .. فهي لم تر شيئا .. ولا تعلم شيئا ..

وفي صباح أحد الأيام قال مسيو "جاسير" محدثا "جانيمار" :

يجب أن نصل إلى نتيجة مهما كلفنا ذلك ولعلك قرأت في الصحف أن النائب "توفمون" استطاع بالأمس أن يسقط الوزارة، وسوف يزدحم المنزل اليوم بالصحافيين الذين يريدون مقابلته .. والتحدث إليه وليس في استطاعتنا كما تعلم أن نفتش رجال الصحافة كما تعودنا تفتيش سكان المنزل ..

وهنا اعترف "جانيمار" بأن الموقف أصبح لا يحتمل .. وقال محدثا

مسيو "جاسير" بلهجة التاكيد :

- ساعرف الحقيقة كلها بعد ساعة ..

وبعد ساعة كان "جانيمار" يطرق باب مكتب "جان باربيه". قال له المحامي وعلى شفتيه ابتسامة المشفق :

- كنت انتظرك يا "جانيمار" فماذا تريد ؟

- أريد مساعدتك .. فقد عجزت عن حل هذا اللغز الذي ضاعت فيه اموالي ..

نهض "باربيه" واقفا .. ووضع يده بلطف على كتف "جانيمار". ولم ينظر إلى وجهه لكيلا يشعره بمذلة العجز والهزيمة كانت المقابلة بينهما مقابلة زميلين تصافحا .. لا مقابلة بين منتصر ومهزوم ..

قال "باربيه" :

- الواقع يا عزيزي "جانيمار" ان سوء التفاهم بيننا يؤلمني اشد الألم .. فنحن رجلان يجب أن يتزاملا .. ويتعاونا بدلا من ان يناصب كل منهما الآخر العداء ..

فاطرق "جانيمار" براسه ..

كان ضميره يؤنبه على انه صادق "باربيه" .. وعلى أن الأقدار ارغمته على زمالة هذا الرجل الذي يرتاب فيه بالغريزة .. ويرتاب في وسائله ومراميه .. بيد أن هناك ظروفا وعوامل تبيح للشرفاء أن يصموا اذانهم عن سماع صوت الضمير .. ومن هذه العوامل ان يفقد الإنسان كل ما ادخره في الحياة .. ثم لا يجد يدا لاسترداد أمواله المفقودة من ان يضع يده في يد شخص مشكوك في ذمته ..

صم "جانيمار" اذنيه عن صوت ضميره .. وغمغم قائلا :

- إن حارسة الباب هي التي سرقت السندات .. اليس كذلك ؟

بلى. إنها هي .. لسبب واحد .. هو انه لم يكن في مقدور احد سواها ان يسرق السندات ..

- ولكن كيف لهذه المرأة التي اشتهرت بالأمانة ان تقدم على مثل هذه الفعلة ؟ ...

- لو انك كلفت نفسك مؤونة البحث والتغلغل في اسرار حياتها لعلمت أن لهذه المرأة التعسة ولدا مسرفا متلافا يجردها من كل اموالها .. ويرهقها بمطالبه .. وقد انحدرت المسكينة إلى هوة الجريمة و اصغت إلى إغراء الشيطان لإرضاء ولدها ..

- وإذن فقد اخذ ابنها سنداتي .. وبعثر ثمنها .. ؟

- كلا .. كلا .. ما كان لي قط أن أسمح بذلك .. إن سنداتك شيء مقدس يا "جانيمار" ..

- اين هي إذن ؟

- في جيبك ..

- كفى هذرا يا "باربيه" ..

- إنني لا اهزل في موطن الجد يا "جانيمار" .. ابحث في جيبك تجد سنداتك ..

واشار إلى احد جيوب "جانيمار". فدس هذا يده في جيبه بشيء من الخجل .. واخرج منه غلافا قرا عليه هذه الكلمات :إلى صديقي "جانيمار" " ..

وفض "جانيمار" الغلاف باصابع ترتجف ..

كان واثقا ان "باربيه" دس الغلاف في جيبه عقب دخوله مباشرة..

ولكن ترى ماذا يتضمن هذا الغلاف ؟

اخرج منه طائفة من الأوراق .. عرف فيها سنداته المفقودة ..

- سنداتي .. إنك رجل عظيم يا "باربيه" لا يوجد في العالم سوى "باربيه" واحد .. هو "جان باربيه" الذي انقذ اموال "جانيمار" .. إنك تستحق أن يقام لك تمثال يا "باربيه" .. انت بطل .. ولكن حدثني : كيف نجحت ؟ كيف استطعت استردادها؟..اطمأن "جانيمار" على سنداته.. وثار في نفسه فضول المهنة اراد ان يعرف كيف نجح "باربيه" حيث فشل هو ..

قال :

تكلم يا "باربيه" .. ماذا فعلت ؟

- فعلت ماذا .. ؟
- اعني كيف وجدت حزمة السندات ؟ واين وجدتها ؟
فاجاب "باربيه" مداعبا :
- إنها كانت في المنزل .. ولم تكن فيه ..
- تكلم بالله .. ماذا فعلت ؟
- هل تعترف بعجزك ؟
- نعم ..
- وهل تعدني بالا تنظر إلي بعد الآن تلك النظرات المريبة التي تجعلني اعتقد في بعض الأحيان انني ضللت ... سواء السبيل ؟
- تكلم يا "باربيه" .. تكلم ..
- يالها من قصة طريفة !! أؤكد لك يا عزيزي "جانيمار" انها ستثير دهشتك وعجبك .. إنني لم اسرد في حياتي قصة اعجب منها .. على ان اللغز فيها غاية في السهولة . وإنني لأعجب كيف لم تهتد إلى معرفته وانت ذلك الشرطي البارع ذو الماضي المجيد ؟
- واخيرا .. الا تريد أن تتكلم ؟ كيف خرجت حزمة السندات من المنزل ..؟
- إنها خرجت تحت انفك وبصرك يا عزيزي "جانيمار" . ولم تخرج منه فقط ، بل عادت إليه كذلك .. كانت تخرج من المنزل وتعود إليه مرتين على الاقل كل يوم .. وقد قضيت عشرة ايام وانت تحني امامها قامتك باحترام كلما خرجت او دخلت ..
- هذا غير معقول .. لقد فتشت .. لقد فتشت كل إنسان خرج من المنزل ..
- نعم يا عزيزي "جانيمار" ، إنك فتشت كل إنسان ، وفتشت كل علبة وكل حزمة . وكل صندوق اخرج من المنزل .. ولكنك لم تفتش المكان الوحيد الذي كانت توجد به السندات ..
إن موظفي الجمارك على الحدود يفتشون جميع المسافرين ويفحصون جميع الأمتعة .. ولكنهم لا يفتشون حقائب رجال السلك

السياسي .. وذلك ما فعلته انت .. فإنك فتشت كل شئ إلا الشيء الذي وضعت به السندات ..
- إنني لا افهمك .. عن اي شيء تتكلم ؟
- عن حافظة اوراق حضرة الوزير السابق .. والنائب المحترم مسيو "توفمون" ..
- ماذا تقول يا "باربيه" ؟ هل تتهم النائب "توفمون" ؟
- انت مجنون يا "جانيمار" .. هل تعتقد انني استبيح لنفسي اتهام نائب محترم ؟
يجب ان تذكر قبل كل شئ ان القانون يضع حضرات النواب المحترمين فوق كل اتهام وكل شبهة ..
على انه إذا كان هناك بين النواب والوزراء السابقين رجل جدير بالا ترتفع إليه الشبهات والريب .. فهذا الرجل هو مسيو "توفمون" ..
هل تعتقد إذن انه كان شريكا ؟ ...
- لا ..
- من تتهم إذن ؟
- من اتهم ؟ ..
- نعم ..
- إنني اتهم حافظة اوراق النائب "توفمون" ..
وابتسم وصمت لحظة ثم استطرد :
- إن حافظة اوراق وزير سابق .. ونائب حالي هي في ذاتها شخصية مهمة يا "جانيمار" .. فامامنا مسيو "توفمون" .. وامامنا حافظة اوراقه .. والاثنان جزء لا يتجزا .. وليس في الاستطاعة ان نتصور مسيو "توفمون" بلا حافظة اوراقه .. او نتصور حافظة الاوراق بلا مسيو "توفمون" .. ذلك لأن احدا منهما لا يفترق عن الآخر .. و يحدث في بعض الأحيان فقط ان يضع مسيو "توفمون" حافظة اوراقه جانبا لكي يتناول طعامه مثلا او لكي ينام .. وفي هذه الحالة تصبح حافظة اوراق مسيو "توفمون" شخصية مستقلة .. يوسوس

لها الشيطان في بعض الأحيان فتقدم على أعمال لا يمكن أن يعتبر مسيو "توفمون" مسـوولا عنها.

وذلك بعينه ما حدث يوم سرقت حزمة السندات.

وهنا نظر إلى "باربيه" في دهشة .. وسأل نفسه:

- ترى ماذا يريد أن يقول؟ وإلى أي غرض يرمي؟

استطرد "باربيه":

- نعم .. هذا ما حدث يوم سرقت حزمة السندات، وضاعت أموالك.. بعد أن استولت حارسة الباب على السندات أزعجتها جريمتها وراعها الخطر الذي يتهددها..

وإنها تفكر في طريقة للتخلص من الغنيمة التي توشك أن تجر عليها الدمار وسوء السمعة .. إذا بها ترى فجأة حافظة أوراق مسيو "توفمون" موضوعة على نافذة غرفتها وكان مسيو "توفمون" قد دخل غرفتها ليأخذ رسائله ... فوضع حافظة أوراقه على النافذة .. وراح يفض أغلفة الرسائل .. وفي هذه اللحظة لحقت به أنت ومسيو "جاسير". وذهبتما تسردان عليه تفاصيل الحادث.

وبينما كان الرجل يصغي إليكما في صبر وأناة، تفتق ذهن حارسة الباب عن فكرة فذة..

كانت قد وضعت حزمة السندات على قاعدة النافذة وأخفتها تحت طائفة من الجرائد القديمة .. ولم يكن أحد قد فتش غرفتها بعد.. ولكنها كانت واثقة من أن الغرفة ستفتش عاجلا أو آجلا. فاقتربت من النافذة دون أن يشعر بها أحدكم .. وأخرجت حزمة السندات من مخبئها .. ودستها في حافظة أوراق النائب "توفمون" وهكذا انصرف النائب من غرفة حارسة الباب متأبطاً سنداتك وسندات مسيو "جاسير".

أصغى "جانيمار" إلى هذا الإيضاح، دون أن ينطق بكلمة اعتراض.

قال:

- ولكن ألم يلاحظ مسيو "توفمون" وجود حزمة السندات في حافظة أوراقه؟

- نعم لم يلاحظ.

- كيف ذلك؟ .. إنه متى فتح الحافظة..

- ولكنه لم يفتح الحافظة .. ولا يفتحها أبدا .. إن حافظة أوراق مسيو "توفمون" كغالبية حوافظ رجال السياسة ليست في الواقع إلا خدعة ومظهرا من مظاهر التهديد ... فلو أنه فتحها .. لوجد بها السندات.

- ولكن لا بد له أثناء العمل من أن يفتح الحافظة

إنه لا يعمل .. ولا يفتح الحافظة، ووجود الحافظة ليس شرطا للعمل، وأكثر الساسة يقنعون بحافظة الأوراق دون العمل، ذلك لأن الحافظة في ذاتها تمثل العمل، وتمثل القوة، والنفوذ..

عندما صعد مسيو "توفمون" إلى منبر الخطابة أمس، وقد كنت موجودا آنئذ في مجلس النواب - حمل معه حافظة أوراقه، فارتجف الوزراء، وقالوا لأنفسهم "إن حافظته مكدسة بالأوراق، مليئة بالأرقام والإحصاءات" وقد بسط مسيو "توفمون" الحافظة أمامه، ولكنه لم يتناول منها شيئا..

ثم راح يتكلم، ويضرب بيده بين الفينة والفينة على حافظة أوراقه، كمن يقول: "الوثائق هنا، وهنا الأدلة على صحة ما أقول"

في حين لم يكن بالحافظة سوى سندات "جانيمار"، وسندات "جاسير"، وطائفة من الصحف القديمة.

تكلم إذن مسيو "توفمون"، وراح يؤيد كلامه بالضرب على حافظة أوراقه، وكان في ذلك الكفاية..

وهكذا أسقطت حافظة مسيو "توفمون" الوزارة.

- ولكن كيف علمت كل ذلك؟

علمت ذلك عقب انصراف مسيو "توفمون" من مجلس النواب بعد أن قرر المجلس بأغلبية الأصوات عدم الثقة بالوزارة .. فقد قصد مسيو

"توفمون" إلى منزله سيرا على الأقدام ، وبينما هو في طريقه إذا براكب دراجة يصطدم به .. وإذا بالنائب المحترم يسقط على الأرض .. وإذا بحافظة اوراقه تطير من يده ..

وفي هذه اللحظة خرج من احد الأزقة شريك لصاحب الدراجة، فتظاهر بمساعدة النائب المحترم .. وانتهز الفرصة .. وأخذ حزمة السندات من الحافظة .. ووضع مكانها حزمة من قصاصات الورق ..

ولست في حاجة بالتأكيد لان أذكر لك اسم هذا الشريك .

وهنا اغرق "جانيمار" في الضحك .

لم يسعه - بعد أن اطمأن على سنداته - إلا أن يرى الجانب المضحك من المأساة ، وإلا ان يضحك ملء فمه .

استطرد "باربيه" قائلا :

- هو ذا السر ايها الصديق العزيز .. ولكي اقف على كل هذه الحقائق .. رايت لزاما علي ان ادخل المنزل وأن املي مذكراتي ، واتلقى دروسا في البيانو ..

ولا اكتمك انني وجدت في هذا الحادث من المتع مالم أجده في سواه.. فقد استمتعت في الطابق الثالث بمغازلة فتاتين لا تقع العين على اجمل منهما ، واستمتعت في الطابق الثاني بمنظر مسيو "توفمون" ، وهو يروح ويغدو كالمغفل والسندات تحت إبطه ، ثم استمتعت بمرأى العزيز "جانيمار" وصديقه "جاسير" وهما يحرقان الارم غيظا ..

على ان موقف حارسة الباب هو بغير شك من أعجب المواقف .. فهي ترى الآن في مسيو "توفمون" محتالا من احط المحتالين ، وتعتقد أنه وجد السندات في حافظة اوراقه فاستولى عليها ولزم جانب الصمت .

- هل يجب ان اخطره ؟ ..

- ولماذا ؟ .. دع الرجل مرتاح البال يروح ويجيء وقصاصات الورق تحت إبطه .. كلا يا "جانيمار" .. يجب الا تبوح لكائن من كان بكلمة واحدة مما ذكرت لك .

- ما عدا مسيو "جاسير" بالتأكيد .. إذ يجب أن نخطره بما حدث ونرد إليه سنداته ..

- اي سندات ؟ ..

- سنداته التي سرقت منه ووجدتها انت في حافظة مسيو "توفمون" ..

- اه .. انت مخطئ يا عزيزي "جانيمار" .. إنك لا ترى الأشياء على وجهها الصحيح . هل تعتقد انني سارد إليه شيئا ؟

- بالتأكيد .. سنداته ..

فضرب "باربيه" المكتب بيده وقال بحدة :

- هل تعرف من هو "بيير جاسير" يا "جانيمار" ؟ إنه شقي أثيم لا يفترق في شيء عن ابن حارسة الباب .. إنه لص محتال عرف كيف يسرق عملاءه وكيف يعبث باموالهم . وأدهى من ذلك انه كان يتأهب للفرار باموال عملائه وودائعهم .. خذ وانظر .. ها هي تذكرة سفر إلى "بروكسل" بتاريخ اليوم الذي سحب فيه السندات من البنك .. لا ليودعها ببنك فرنسا كما زعم .. وإنما ليفر بها .. فما قولك في ذلك يا "جانيمار" ؟

فصمت "جانيمار" ..

كانت ثقته بـ "جاسير" قد تزعزعت عقب سرقة سنداته .

بيد أنه قال :

- ولكن للرجل عملاء امناء ليس من الإنصاف حرمانهم من اموالهم والانحدار بهم إلى هوة الخراب والإفلاس ..

- إنهم لن ينحدروا إلى هوة الخراب والإفلاس .. كلا . أنا لا أرضى لهم مثل هذا الغبن ..

- إذن ؟ ..

- إن "جاسير" رجل غني ..

- بل أصبح لا يملك سنتيما واحدا ..

- انت مخطئ يا عزيزي "جانيمار" .. فقد دلتني ابحاثي والمعلومات

التي استقيتها من مصادر موثوق بها على ان الرجل غني وفي استطاعته ان يرد إلى عملائه اموالهم . وبهذه المناسبة يجب ان تعلم انه إذا لم يكن قد ابلغ البوليس بالحادث منذ البداية فليس ذلك إلا لانه يخشى ان يضع رجال القانون إصبعهم في اعماله .. فتظهر لهم فضائحه .

كلا يا عزيزي "جانيمار" .. إن "بيير جاسير" يملك مالا .

- هل افهم من ذلك أن في نيتك الاحتفاظ بـ

- بالتاكيد ..

ولكن هل تنوي الاحتفاظ بثمنها .. ؟

- لا .. إنني لن احتفظ بها دقيقة واحدة ..

- ماذا ستفعل بها إذن ؟

- ساوزعها ..

- توزعها ؟

- نعم .. ساوزعها على المعوزين وعلى الجمعيات الخيرية .. فاطمئن يا عزيزي "جانيمار" .. اطمئن وثق بانني سانفق نقود "جاسير" في خير وجوه الإنفاق ..

فهز "جانيمار" راسه بارتياب .

لاحظ ان هذا الحادث قد انتهى كغيره من الحوادث ، وان "باربيه" قد عاقب المذنب ، وانقذ البريء ، ولكنه لم ينس نفسه . وجد أن السكوت في هذا الموقف معناه التستر على الجريمة ولكنه من ناحية اخرى احس بالسندات في جيبه وشعربفضل "باربيه" في إعادتها إليه ..

- ماذا بك ؟ هل انت غاضب ؟

- لا .. لا .. لست غاضبا ..

- إذن فابتسم

فلم يسع "جانيمار" إلا الابتسام

- يسرني انني استطعت ان اؤدي لك إحدى الخدمات والآن ، إلى اللقاء ايها الصديق العزيز .. ومعذرة .. لقد اضعت الكثير من وقتك

الثمين .. ثم إنني على موعد هنا مع إحدى السيدات ..

- إلى اللقاء إذن ..

وانصرف "جانيمار" .. وهو مثقل الجيب والضمير ..

وما كاد يصل إلى الباب ، حتى صادف فتاة سمراء عرف فيها على الفور الآنسة "كيجوفيبه" الحسناء ..

كانت هي بغير شك (السيدة) التي ينتظرها "باربيه" .. وبعد يومين .. وقع بصر "جانيمار" على "باربيه" وهو يدخل دار السينما وبرفقته "هافلين" الحسناء ..

(٢)

اللؤلؤة السوداء

دوى طرق عنيف على باب المنزل رقم ٩ بشارع "هوش" .. فاستيقظت حارسة الباب وقالت في ضجر وتبرم :

- اعتقد ان جميع سكان المنزل قد عادوا من الخارج .. فترى من الطارق ؟ إن الساعة الآن الثالثة صباحا على الأقل ..

فاجاب زوجها :

- ربما كان بعضهم يريد مقابلة الطبيب ..

وقد صدق حدس الرجل ..لان زوجته ماكادت تفتح الباب .. حتى سالها الطارق :

- في اي طابق يقيم الدكتور "هاريل" .. ؟

- إنه يقيم في الشقة اليسرى بالطابق الثالث .. ولكنه لا يقابل احدا في اثناء الليل .. ولا يبرح منزله ابدا في مثل هذه الساعة .. - ولكن يجب في هذه الليلة ان يزعج نفسه قليلا ..

قال ذلك ودخل المنزل وراح يصعد السلم مسرعا . مر بالطابق الاول والثاني .. وبلغ إلى الطابق الثالث حيث يقيم الدكتور"هاريل" قال لنفسه :

- هذا بديع، لقد أصبحت المهمة ميسورة .. ولكن يجب أن نطمئن اولا على طريقة الخروج .. فترى هل المدة التي انقضت حتى الآن كان فيها الكفاية لان اطرق باب الطبيب واطلب مقابلته فيرفض ان يقابلني ؟ كلا . لا يزال أمامي متسع من الوقت ..

وبعد عشر دقائق هبط صاحبنا السلم .. وقصد إلى الباب الخارجي . ومر بغرفة حارسة الباب وجعل يسب الطبيب ويشتمه . زاعما انه رفض مقابلته ..

ثم فتح الباب الخارجي وباسرع من لمح البصر دس في قفل الباب

قطعة من الحديد ..

وخرج بعد ذلك واغلق الباب وراءه بشدة .. فاحدث الباب ضجة ولكنه لم يغلق نظرا لوجود قطعة من الحديد في القفل ..

وتريث الرجل في الخارج لحظة .. ثم عاد ادراجه . ففتح الباب في هدوء .. ودخل دون أن يحدث اية جلبة . واجتاز فناء الدار دون أن تراه حارسة الباب ..

وهكذا اطمان إلى سهولة الفرار من الباب الخارجي فيما لو فاجاه مفاجئ .

صعد الرجل السلم مرة اخرى حتى بلغ الطابق الخامس . فتسلل من الباب الذي كان قد نجح في فتحه .. ثم أخرج من جيبه مصباحا كهربائيا واضاءه .. ورأى على ضوئه انه في دهليز صغير .. فخلع قبعته ومعطفه ووضعهما على احد المقاعد .. وجلس على مقعد آخر واحاط حذاءه بغطاء من الصوف لكيلا يسمع لوقع اقدامه صوت ..

ولما فرغ من ذلك تنفس الصعداء

وقال :

- حمدا لله .. اعتقد أن كل شيء سينتهي على ما يرام في هذه المغامرة الموفقة ..

إنني اتساءل في الحق لماذا لا يحترف جميع الناس مهنة اللصوصية ؟ إنها مهنة يسيرة ومريحة . ولا تتطلب اكثر من بعض الخفة واللباقة وسرعة الخاطر .

إنها مهنة الشخص الذي يريد الراحة والرفاهية .

قال ذلك ثم بسط امامه ورقة عليها رسم تخطيطي للشقة .. واستطرد:

- لنبدا الآن بتطبيق هذا الرسم على الواقع .. ها هوذا المستطيل الذي يمثل الدهليز الذي انا به الآن ..

وها هي ذي قاعة الاستقبال وغرفة النوم وقاعة الطعام .. وكلها تطل على الشارع .. فمن العبث إذن إضاعة الوقت في هذه الناحية ..

والواقع أن ترتيب الغرف لا يدل على أن الكونتس تمتاز بذوق سليم..

وأخيرا .. ها هو ذا الدهليز الذي يوصل إلى غرفة الثياب .. وهي الغرفة التي يفصلها عن مخدع الكونتس باب صغير .. وباب هذه الغرفة لا يبعد عن هنا سوى مسافة ثلاثة أمتار ..

كل هذا حسن .. لقد فهمنا الآن أين نحن .. وماذا يجب أن نفعل ..

قال ذلك وطوى الورقة ووضعها في جيبه ثم سار في الدهليز وهو يحصي المسافة ..

– متر .. متران .. ثلاثة أمتار .. هو ذا باب غرفة الملابس ..

يا لله .. كم أنا موفق الليلة .. لو علم "جانيمار" بكل هذا لاعترف بأنني رجل موفق على طول الخط .. هأنذا أمام باب ليس أيسر من فتحه .. نعم .. إن نصفه الأسفل مصنوع من الزجاج .. وفي الاستطاعة إزالة هذا الزجاج .. ودخول الغرفة دون أن نضطر إلى فتح الباب ..

قال ذلك وأخرج من جيبه الأدوات الضرورية لرفع قطعة الزجاج التي تغطي النصف الأسفل من الباب .

ولكن خطر له فجأة خاطر .. فقال لنفسه :

ولكن إذا افترضنا أن الكونتس نسيت أن تغلق هذا الباب، أفلا يوفر علينا ذلك مهمة إزالة الزجاج؟

وهي عملية لا تخلو من الخطر فيما إذا هبط لوح الزجاج في داخل الغرفة وتحطم ..

قال ذلك ومقبض أكرة الباب .. فانفتح في الحال .. قال لنفسه :

يا عزيزي "لوبين" .. إن الحظ يحالفك ويتآمر معك .. ويضع أمامك جميع التسهيلات !

ماذا ينقصك الآن ؟

إنك تعرف موقع كل ركن وكل قطعة من الأثاث في هذه الشقة .

وتعرف المكان الذي تخبئ فيه الكونتس اللؤلؤة السوداء .. ولكن لكي يتسنى لك الاستيلاء على هذه اللؤلؤة .. يتعين عليك أن تكون أهدأ من

الهدوء وأخفى من الخفاء ..

وقضى "ارسين لوبين" نصف الساعة تقريبا في معالجة الباب الموصل بين غرفة الملابس ومخدع الكونتس ..

واستطاع أخيرا أن يفتحه دون أن يحدث أية جلبة من شأنها أن تزعج الكونتس حتى ولو لم تكن نائمة ..

كان يعلم من الرسم الذي بجيبه أنه لم يبق عليه إلا أن يسير لصق مقعد كبير .. ينتهي به إلى مقعد آخر صغير .. ثم إلى طاولة صغيرة قريبة من الفراش .. وهناك على الطاولة .. يوجد صندوق لورق الرسائل .. قد وضعت الكونتس بداخله تلك اللؤلؤة السوداء الثمينة ..

تمدد "لوبين" على الأرض .. وراح يزحف لصق المقعد الكبير ولكنه لم يكد يصل إلى طرفه الأخير .. حتى كف عن الحركة وهو لاهث الأنفاس خافق القلب .

نعم .. وثب قلبه بين ضلوعه .. فاستحال عليه أن يتغلب على الاضطراب الذي يستولي على الإنسان عادة وسط مثل هذا الظلام الحالك والسكون العميق .

وقد دهش "لوبين" لهذا الاضطراب الفجائي ، الذي لم يشعر قط بمثله وهو في مواقف أشد من هذا حرجا .

بيد أنه لم يكن هناك أي خطر يتهدده . فلماذا الاضطراب إذن ؟ ولماذا يخفق قلبه بمثل هذه الشدة حتى ليكاد يثب من حلقه ؟

ترى هل السبب في ذلك أنه يشعر بوجود الكونتس بالقرب منه ؟

أرهف أذنيه .. وخيل إليه أنه يسمع بالقرب منه تردد أنفاس هادئة منتظمة ، فاطمأن كما يطمئن الإنسان إلى وجود صديق معه في الظلام .

بحث عن المقعد الصغير حتى وجده ثم مد يده باحثا عن الطاولة فمست أصابعه إحدى قوائمها .

لم يبق عليه بعد ذلك إلا أن ينهض واقفا ويحمل اللؤلؤة السوداء ويلوذ بالفرار .

وشعر بالارتياح حين خطرت له فكرة الفرار .. والخروج من تلك الغرفة الصامتة المظلمة .. ذلك لان قلبه كان قد بدا يخفق من جديد ويخفق بشدة حتى خيل إليه ان من المستحيل الا تسمع الكونتس نبضات قلبه فتستيقظ من نومها .

وبذل جهود الجبابرة ليسيطر على شعوره ، واعصابه .. ولكنه ما كاد يهم بالوقوف .. حتى مست يده شيئا على الارض تبين في الحال انه شمعدان ملقى هناك فبسط يده مرة اخرى .. ومست اصابعه شيئا اخر تبين انه ساعة صغيرة .

قال لنفسه :

- يا لله .. ترى ماذا حدث ؟ .. وما الذي القى بالشمعدان والساعة على الأرض ؟ .. ولماذا لم توضع هذه الأشياء في امكنتها الطبيعية ؟

وفجاة افلتت من بين شفتيه صيحة ذعر.. ذلك لانه مس شيئا .. شيئا غريبا مخيفا .. ولكن لا .. لابد ان ذهنه المضطرب بتاثير الخوف قد صور له هذا الشيء .

كان يحس بان اصابعه لا تزال تمس ذلك الشيء المخيف الذي لمسته منذ لحظة .. والذي ادخل الذعر على قلبه .

ملك نفسه وسيطر على شعوره ومد يده مرة اخرى نحو ذلك الشيء، مست اصابعه ذلك الشيء للمرة الثانية ومرت بجسده رعدة شديدة ولكنه لم يجتذب يده بل صمم على ان يترك لاصابعه أن تتحقق نهائيا من ذلك الشيء.

مست اصابعه كتلة من الشعر الناعم الطويل ثم مست وجهها .

كان الوجه باردا كالثلج .

لم يكن "ارسين لوبين" بالرجل الذي ترعبه الحقائق .. إنه ذعر اولا لانه كان في شك وارتياب ولانه لم يكن واثقا اما الآن وقد عرف الحقيقة رغم هولها فإنه سرعان ما استعاد ثباته ورباطة جاشه .

اخر ج مصباحه الكهربائي من جيبه واضاءه وسلط اشعته على الجسم الذي لمسه

راى أمامه امراة غارقة في بحيرة من الدماء وقد اصيبت في عنقها وكتفيها وصدرها بجروح مخيفة فجثا بجانبها وفحصها .. وجدها ميتة .

- يا للسماء ..

وراح ينقل البصر بين ذلك الشعر المشعث والوجه الممتقع والجسم المثخن بالجراح .. وبقع الدم السوداء التي تلطخ الأرض اضاء مصباح الغرفة .. ونظر حوله .. فراى جميع الأدلة على قيام نضال مخيف بين المراة وقاتلها او قاتليها .

كان الفراش مضطربا .. واغطيته ملقاة على الأرض .

وراى الشمعدان والساعة .

ولاحظ ان عقربي الساعة يدلان على الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين

ثم راى مقعدا مقلوبا .. وبقع الدماء تلطخ الأثاث .

- واين اللؤلؤة السوداء ؟

وراى علبة الرسائل موضوعة على المنضدة .. ففتحها بسرعة .. ولكنه وجدها خالية .

- هانتذا قد خسرت نفسك يا عزيزي "ارسين لوبين" .. كنت تفخر منذ لحظة بان الحظ يحالفك ويتامر معك .. وبانك وفقت في مغامرة الليلة غاية التوفيق .

ها هي ذي الكونتس قد قتلت .. واللؤلؤة السوداء قد اختفت والموقف لا يدعو إلى الارتياح .

إن افضل ما تفعله الآن .. هو ان تلوذ بالفرار .. قبل ان توجه إليك تهمة انت بريء منها .. وتلقى على عاتقك مسؤوليات لاقبل لك على احتمالها ..

ولكنه مع ذلك لم يهرب .. بل بقي في مكانه .

قال يحدث نفسه :

- أهرب .. كلا .. ليس "ارسين لوبين" بالرجل الذي يزعجه منظر

الجثث فيلوذ بالفرار .. إن على "لوبين" حيال مثل هذه الجريمة واجبات يتعين عليه ان يضطلع بها .. إن لم يكن بصفة "ارسين لوبين" فبصفته "جان باربيه" المحامي الفذ .. الذي يعمل لوجه الله .. ولوجه العدالة .. ولا يبتغي من عمله غير إحقاق الحق نعم .. لنفترض أن "ارسين لوبين" قد تلاشى الآن ، وحل محله "جان باربيه". فماذا يفعل؟ .. وكيف يبدأ التحقيق .. ويميط اللثام عن السر .. ؟

ولكن لا ! إن تحقيق مثل هذه الجريمة يتطلب عقلا متزنا . وتفكيرا سليما .. وعقلي الآن ابعد ما يكون عن الاتزان والهدوء .. احدثت جريمة شارع (هوش) ضجة كبرى .. ليس لضياع اللؤلؤة السوداء فقط. وإنما كذلك لشخصية الكونتس "دانديلو" .. التي ذهبت ضحية تلك الجريمة المخيفة .

والواقع .. ان الكونتس "دانديلو" كانت في وقت ما من اظهر الشخصيات في المجتمع الباريسي .. وفي الأوساط المسرحية .. إذ من ذا الذي لم يسمع باسم "ليونتين" المطربة المشهورة .. التي ختمت حياتها على المسرح بالاقتران بالنبيل الفرنسي العتيد الكونت "دانديلو"..

اشتهرت الكونتس "دانديلو" .. ليس بمواهبها الفنية فقط . وبانها كانت في شبابها ابرع مغنيات المسرح .. وإنما اشتهرت كذلك بثروتها الطائلة من اللآلئ والماسات والاحجار الكريمة التي كانت تتزين بها وقد جمعت الكونتس بعض هذه اللآلىء من المعجبين بها .. وهم كثيرون في كل بلد سمع اهله صوتها الفريد . واهداها زوجها الكونت البعض الآخر من تلك اللآلئ .

وقد كان يقال عن هذه المراة كلما ظهرت في إحدى الحفلات او السهرات بلآلئها واحجارها الكريمة .. إنها تحمل حول صدرها ثروة يحسدها عليها اكثر البنوك وبعض الحكومات .

بيد أن اهل باريس جميعا مازالوا يذكرون الكارثة التي نزلت بالكونتس بعد موت زوجها .. فإنها تورطت في المضاربات تورطا

خطرا ذهب بثروتها .. فبيعت لآلئها وكنزها الثمين من الماسات والاحجار الكريمة بالمزاد العلني .. ولم يبق لها من ذلك الكنز سوى اللؤلؤة السوداء الشهيرة .. وهي في ذاتها ثروة لا تقدر بثمن .

وقد كان في استطاعة الكونتس - إذا شاءت - أن تقضي بقية حياتها في رغد ورفاهة بثمن تلك اللؤلؤة الفريدة .. ولكنها رفضت ان تبيعها واصرت على الرفض .. وآثرت ان تنتقل من قصرها الفخم .. إلى شقة متوسطة .. وأن تسرح جميع خدمها - عدا ثلاثة - وان تعيش عيشة متواضعة .. على أن تفرط في تلك اللؤلؤة.. وقد قيل : إن سبب إصرارها على الاحتفاظ بهذه اللؤلؤة هو أن اللؤلؤة اهديت إليها من احد ملوك اوروبا فقررت الاحتفاظ بها إلى النهاية .. لتذكر بها دائما مجدها التليد .. ومواهبها التي احلها الملوك محلا رفيعا من تقديرهم . كانت الكونتس تقول للمقربين إليها :

- لن ابيع هذه اللؤلؤة ما دمت على قيد الحياة .

وكانت تزين صدرها بهذه اللؤلوة من الصباح إلى المساء .. حتى إذا هبط الليل اخفتها في مكان لا يعرفه احد سواها .

وقد اذاعت الصحف كل هذه الحقائق عن المطربة المشهورة .. فاثارت بذلك فضول الناس إلى معرفة سر الجريمة. ومن عجب أن شيئاً لم يعقد الجريمة .. كما عقدها إلقاء القبض على الشخص الوحيد الذي كانت حوله شبهة ارتكابها .

نشرت الصحف في اليوم التالي للجريمة نبا جاء فيه :

"علمنا ان المفتش "جانيمار" الذي انيطت به مهمة تحقيق جريمة شارع (هوش) قد القى القبض على "فكتور دابنجر" خادم الكونتس "دانديلو" وأن هنالك من الادلة الدامغة ما يثبت الجريمة ضد "دابنجر"

"ولعل من اهم هذه الادلة عثور المفتش "جانيمار" بالقرب من جثة الكونتس على زر ثبت انه سقط من ثياب المتهم

"ويذهب المحققون إلى أن "دابنجر" لم يبرح شقة الكونتس في المساء ولم ينطلق إلى مسكنه كالمعتاد .. بل اختبا بعد العشاء في غرفة

الملابس .. وراح يرقب سيدته حتى عرف المكان الذي خبأت به اللؤلؤة السوداء .. ثم تريث حتى أوت الكونتس إلى فراشها .. فتسلل إلى مخدعها ..

"ولكن المفهوم انه لم يقم حتى الآن دليل على صحة هذه النظرية التي يوجد من الملابسات ما يضعفها ويثير الشكوك حولها".

"من ذلك ان بعض جيران "داينجر" قرروا انهم ابصروا هذا الأخير وهو يبرح مسكنه في الساعة السابعة صباحا كالمعتاد وان وصيفة الكونتس وطاهيتها .. اللتين قضتا زهاء العشرين عاما في خدمة الكونتس قد قررتا انهما استيقظتا في الساعة الثامنة ، فوجدتا باب الشقة مغلقا بالمفتاح كالمعتاد.

"فالمسألة الآن هي .. إذا كان "داينجر" هو المجرم حقا فكيف استطاع الخروج من الشقة ؟ .. وإذا كان قد استخدم مفتاحا مصطنعا .. فاين هو هذا المفتاح ؟ ..

"ذلك ما يتعين على المحققين إيضاحه"

غير ان المحققين لم يتمكنوا من إيضاح شيء . كل ما هنالك انهم رجعوا إلى ملفات البوليس فوجدوا أن المتهم من ذوي السوابق ، وانه سكير عربيد لا يحجم عن ارتكاب جريمة القتل عند الضرورة.

على أن الحادث لم يزد مع مرور الأيام إلا غموضا فقد قررت الآنسة "ستكليف" ابنة عم الكونتس ووريثتها الوحيدة ، أن الكونتس كتبت إليها منذ شهر تكشف لها عن طريقتها في إخفاء اللؤلؤة ، وعن المكان الذي تخبئها فيه . وأن الرسالة التي تتضمن كل هذه المعلومات قد اختفت في اليوم التالي لورودها ، ولم يعرف سارقها . كذلك قررت حارسة الباب في منزل الكونتس انها فتحت الباب في ليلة الجريمة لشخص مجهول زعم انه يريد مقابلة الدكتور "هاريل".

ولما سئل الدكتور في ذلك قرر ان احدا لم يطرق بابه وانه لم ير أحدا.

فمن كان إذن ذلك الشخص المجهول ؟ .. وهل هو شريك للمتهم؟ وقد هضمت الصحف والرأي العام فكرة وجود شريك للمتهم في شخص

ذلك الزائر المجهول .. وراح المفتش "جانيمار" يعزز هذه الفكرة بكل ما اوتي من قوة ...

كان يقول لقاضي التحقيق :

- إنني أرى في هذا الحادث إصبع "ارسين لوبين" فهو بغير شك شريك للمتهم .

- إنك ترى "لوبين" في كل مكان

- إنني أراه في كل مكان .. لانه حقا في كل مكان

- بل قل إنك تراه في كل حادث يتعذر عليك فهم حقيقته ..

إن من السهل جدا نفي التهمة عن "لوبين" .. فالجريمة قد ارتكبت في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين كما يدل على ذلك عقربا الساعة . في حين أن الشخص المجهول الذي تكلمت عنه حارسة الباب والذي تعتقد انت انه "ارسين لوبين" لم يطرق باب المنزل إلا في الساعة الثالثة صباحا .. أي بعد أربع ساعات من ارتكاب الجريمة .

بيد أن "جانيمار" لم يقتنع بهذا الدليل المنطقي المعقول .

وازداد شعوره بوجود إصبع "لوبين" في الجريمة .. حين رأى المحامي "جان باربيه" يقابل المتهم في سجنه .. ويتطوع للدفاع عنه.

كانت شكوكه في "باربيه" قد تضاعفت بعد حادث السندات المسروقة، فقد لمس بيده شذوذ "باربيه" .. ووسائله العجيبة في حل جميع القضايا لمصلحته .. وهي وسائل فذة لا يوجد غير رجل واحد في العالم يمكن أن يتفتق عنها ذهنه .. وهذا الرجل هو "ارسين لوبين" .

رأى "باربيه" يتطوع للدفاع عن "فكتور داينجر" .. فاستنتج من ذلك نتيجتين .. الأولى أن "داينجر" لابد أن يكون المجرم حقا .. والثانية أن "باربيه" إنما يعمل لتعرض واحد .. هو الاستيلاء على اللؤلؤة السوداء .

قال لنفسه :

- إذا ادين "فكتور داينجر" وثبتت عليه تهمة القتل . وكان "لوبين" شريكه فعلا ، فإنه لا يتردد في الاعتراف بهذه الشركة لينقذ نفسه من

الإعدام . وفي هذه الحالة ، يضيع "لوبين" وتضيع على "باربيه" فرصة الاستيلاء على اللؤلؤة .

غير ان الادلة ضد المتهم كانت اضعف من أن تصمد امام الجدل الصحيح

ولكن العدالة كانت بحاجة إلى من تقتص منه ، وكان رجال البوليس كذلك بحاجة إلى ضحية يذرون بها الرماد في العيون التي ترى عجزهم وفشلهم . وعلى ذلك فقد قدم "دابنجر" إلى المحاكمة .

ووجد المحامي "باربيه" امامه قضية رابحة ، لا تحتاج إلى كثير من البراعة ، فاظهر القاضي على تفاهة القضية ونقص التحقيق.

قال إنه لا يوجد ضد المتهم اي دليل مادي ، فإذا صح وكان هو القاتل ، فاين المفتاح المصطنع الذي اغلق به باب الشقة بعد ان ارتكب الجريمة؟.. وأين الخنجر الذي قتلت به الكونتس؟.. واخيرا ، اين اللؤلؤة السوداء ؟ ...

لم يعثر رجال البوليس في بيت المتهم على شيء من هذه الأدلة المادية .

اما الزر الذي وجده المفتش "جانيمار" بجانب جثة الكونتس فإنه لا يعتبر دليلا إذ يحتمل أن يكون المتهم قد فقد هذا الزر في غرفة سيدته في اثناء النهار .

وختم "باربيه" دفاعه عن المتهم بقوله :

- ومهما يكن من امر فعليكم ان تثبتوا ان موكلي هو الذي ارتكب الجريمة . اثبتوا ان القاتل السارق ليس هو الشخص المجهول الذي دخل المنزل في الساعة الثالثة صباحا .. اما قرينة عقربي الساعة فلا يصح الأخذ بها، إذ كان في استطاعة القاتل أن يحرك العقربين كما يشاء . وقد اخذت المحكمة بأقوال الدفاع . وأصدرت حكمها ببراءة المتهم .

واطلق سراح " فكتور دابنجر" . فخرج من سجنه ضعيفا هزيلا.. مضعضع الحواس .

كانت الأسابيع التي قضاها في السجن قد تركت في نفسه أثرا سيئا . وكان منظر المشنقة الذي طالما تراءى له في أحلامه، ثم الساعات الطويلة التي قضاها بين ايدي المحققين، والموقف الرهيب الذي وقفه في قفص الاتهام . كل ذلك ملأ نفسه ذعرا وهلعا ... فراح يلتمس الهدوء والطمأنينة وراحة البال في غرفة متواضعة بحي "مونمارتر" وكان أول ما فعله " دابنجر" بعد خروجه من السجن .. انه ذهب إلى مكتب الأستاذ "باربيه" .. ليشكر له تطوعه للدفاع عنه .

وقد قابله " باربيه" بشيء من الفتور وفاجأه بقوله :

- لقد كنت انتظر قدومك .
- دعني أعبر لك عن شكري يا سيدي .. فانا ادين لك بحياتي وحريتي .
- كن مطمئنا ... فانت لا تدين لي بشيء لانني لم اكن ادافع عنك.
- لم تكن ... إذن .....
- لقد كلفتني الآنسة " ستكليف" بالدفاع عن مصالحها .
- الآنسة " ستكليف" ؟
- نعم . وهي الوريثة الوحيدة للكونتس " دانديلو" .
- إذن ؟
- وقد اناطت بي أن أرد إليها اللؤلؤة السوداء .
- اللؤلؤة السوداء .. ؟
- نعم . اللؤلؤة التي سرقتها .
- ولكني لم أسرق اللؤلؤة .
- بل سرقتها .
- إذا كنت انا الذي سرقتها . فمعنى ذلك انني الذي قتلت الكونتس..
- انت الذي قتلت الكونتس !

فحاول " دابنجر" أن يضحك . ولكن لم يخرج من فمه سوى فحيح مزعج

- من حسن الحظ يا سيدي أن محكمة الجنايات قد رأت غير رأيك وقضت ببراءتي .

فتحول إليه " باربيه " ، وامسك بساعده بشدة وهتف :

- دعك من هذا الجدل العقيم الذي لا يجدي ، واصغ إلي جيدا... وافهم كل كلمة اقولها لك الآن .

حدث قبل مقتل الكونتس " دانديلو " بثلاثة أسابيع انك سرقت مفتاح الشقة وذهبت به إلى محل " اوتير " تاجر الأقفال بشارع " اوبر كامف " رقم ٢٤٤ وطلبت إليه أن يصنع لك مفتاحا مماثلا .

- هذا غير صحيح ! ... هذا غير صحيح ! .. لم ير أحد المفتاح الذي تتكلم عنه .. إنه لا وجود له .

- ها هو ذا المفتاح .

ووضع " باربيه " مفتاحا على مكتبه ، فساد الصمت لحظة ثم استطرد المحامي :

- إنك قتلت الكونتس بخنجر اشتريته من ميدان " الكونكورد " في ذات اليوم الذي صنعت فيه مفتاح الشقة .

ويمتاز هذا الخنجر بانه مثلث النصل .

فصاح " داينجر " :

- كل هذا كلام فارغ . إنك ترسل الكلام جزافا للإيقاع بي ... إن احدا لم ير الخنجر .

- ها هو ذا ..

فانكمش " داينجر " في مكانه ... واستطرد المحامي :

- ولا يزال مقبض الخنجر ملوثا بالدماء ... فهل يجب ان اوضح لك مصدر هذه الدماء .

- وبعد .. إن معك مفتاحا مصطنعا ، وخنجرا ملوثا بالدماء ، ولكن احدا لا يستطيع أن يثبت انهما مفتاحي وخنجري .

- يستطيع ان يثبت ذلك كل من تاجر الأقفال وبائع الخنجر ، ولاشك انهما سيعرفانك متى وقعت ابصارهما عليك .

وكان " باربيه " يتكلم بهدوء ، وبلهجة الواثق من نفسه . فانقلبت سحنة " داينجر " .

لم يشعر بمثل هذا الحرج وهو في قفص الاتهام ، ولم يستطع احد من المحققين ان يتغلغل في الحقائق كما تغلغل هذا المحامي الغريب الذي انقذه من الإعدام وهو يملك جميع الأدلة التي تثبت عليه الجريمة.

وعلى الرغم من ذلك فإنه حاول ان يتظاهر بقلة الاكتراث ثم سأل :

- اهذا كل ما عندك من الأدلة ؟ ..

- بل لا يزال عندي دليل آخر إنك بعد أن ارتكبت جريمتك . عدت من الطريق التي جئت منها ، اي نفذت من المخدع إلى غرفة الملابس ، وهناك استولى عليك الرعب والضعف فجاة ، فاستندت إلى الجدار لتمنع نفسك من السقوط .

- كيف علمت ذلك . لا يستطيع احد ان ..

- إن رجال العدالة لم يعلموا شيئا لانهم لم يكلفوا انفسهم عناء فحص الجدران ، ولو انهم اشعلوا إحدى الشموع ، وفحصوا جدران غرفة الملابس على ضوئها، إذن لتبينوا على الجدران اثر اصابع يدك اليمنى . وهو اثر خفيف جدا ، ولكنه واضح ، بل إن الدم واضح جدا في الاثر الذي تركه اصبعك السبابة على الجدار .

ولعلك تعلم أن بصمات الأصابع أصبحت في العصر الحديث من اهم وادق وسائل ضبط المجرمين ، وإدانة المتهمين .

فاطرق " داينجر " براسه وتصبب العرق البارد على جبهته ثم رفع راسه بعد لحظة وحملق بعيني المجنون إلى وجه هذا الرجل الذي سرد عليه تفاصيل جريمة كانه شهد بعيني راسه كل مرحلة من مراحلها .

اطرق براسه مرة اخرى إطراقة العاجز المعترف بعجزه . شعر بانه امام خصم عنيد ليس في وسعه إلا أن يطيعه .

- إذا رددت إليك اللؤلؤة فكم تعطيني ؟ ..

- لا شيء .

- كيف ذلك ؟ .. هل اعطيك لؤلؤة لا يقل ثمنها عن بضع مئات من الوف الفرنكات و لا تعطيني انت شيئا ..

- إنني امنحك الحياة !

فمرت في جسد المجرم رعدة قوية .

على أن " باربيه" ما لبث أن استطرد بلهجة اقل قسوة :

- أصغ إلي يا " داينجر" .. هذه اللؤلؤة لا قيمة لها عندك . ومن المستحيل عليك أن تبيعها ... لأن رجال البوليس وفي طليعتهم المفتش " جانيمار" . يعتقدون اعتقادا راسخا بانك القاتل . وهم يتحينون الفرصة لضبط اللؤلؤة معك . فإذا نجحوا أصبح من المستحيل إنقاذك من الإعدام. فلماذا إذن تريد الاحتفاظ باللؤلؤة؟ وهي كما ترى دليل خطير قد يقذف بك إلى يد الجلاد ..

- فقال " داينجر" :

- يوجد أناس يتجرون بالمسروقات . وقد اتمكن يوماً ما من بيع هذه اللؤلؤة باي ثمن .

- إنك لن تجد متسعا من الوقت لبيعها .

- لماذا ؟ ..

- لماذا ؟ .. لأن العدالة ستضع يدها عليك حينما تبرح هذا المكان . وستكون لديها في هذه الحالة ادلة مادية لا تقبل نقضاولا دفعا . سيكون لديها المفتاح المصطنع والخنجر الملوث بالدماء، وبصمة يدك على الجدار .

وهنا دفن "داينجر" راسه بين كفيه وراح يفكر .

لعن الساعة التي فكر فيها في مقابلة هذا الشيطان .. شعر بانه فقد كل شيء ... وانه يجتاز احرج موقف مر به في حياته .

واستولت عليه الملالة والسام فجاة .. وشعر برغبته في أن يستريح وان يستمتع بالحياة الهادئة ... دون أن يكون ثمة ما يهدده .

- متى تريد الحصول على اللؤلؤة ؟ .

- الليلة .. بعد ساعة على الأكثر .

- وإلا ؟ .

- وإلا فإنني ابرق إلى موكلتي الآنسة " ستكليف" بان تبلغ امرك إلى رجال البوليس، وتلفتهم إلى الادلة المادية التي يكفي كل واحد منها لردك إلى السجن وضياعك .

- حسنا .. إنني تعبت من هذه الحالة التي لا تطاق ... فتعال معي لتاخذ تلك اللؤلؤة اللعينة .

وكان الليل قد ارخى سدوله . فانصرف الرجلان من مكتب " باربيه" بشارع " لبيك" وعرجا على الطريق إلى ميدان " ليتوال" .

ولم ينطق احدهما ببنت شفة في اثناء الطريق . وكانت تبدو على "فكتور داينجر" علامات التعب والسام .

- إلى اين تذهب بي ؟ ..

فاجاب " داينجر" بصوت أجش :

- إلى حدائق " مونسو" .

- وهل ذهبت إلى هناك غداة يوم الجريمة ؟ ..

- نعم ! .. إنني بكرت في النهوض . وقصدت إلى هناك قبل أن اذهب إلى بيت الكونتس .

ووصلا إلى حدائق " مونسو" . وسارا بحذاء السور الحديدي الذي يحيط بالحدائق . حتى بلغا إلى مكان معين .. وهناك تهالك "داينجر" على احد المقاعد العامة الموضوعة لصق السور .

- ساله " باربيه" :

- ماذا بك ؟ ..

- إنها هنا .

- اللؤلؤة السوداء هنا ؟ ! ماذا تقول ؟ ..

- اقول إن اللؤلؤة هنا ... أمامنا ..

- امامنا ؟ ... أصغ إلي يا "داينجر" .. إذا كنت ترمي إلى الهزء بي

- قلت لك إنها هنا ... امامنا ...
- أين ؟ ..
- بين قطعتين من قطع الحجر التي يتالف منها إفريز الشارع - اية قطعة ؟ ..
- ابحث ..
- هل تريد أن تضعني امام معضلة؟.. هل تريد أن تمتحن ذكائي ....
- لا .. ولكني اخشى أن اموت كمدا إذا انا اعطيتك اللؤلؤة بيدي ..
- اه ..
- من الغبن أن تتركني اموت جوعا
- حسنا ... إنني ساعاملك بمنتهى الكرم والسخاء .. فكم تطلب ...
- اطلب نفقات رحيلي إلى امريكا .
- اتفقنا .
- واطلب كذلك مبلغ الف فرنك ! ...
- ساعطيك الفين من الفرنكات!... تكلم إذن !
- إنها بين القطعة السابعة والقطعة الثامنة ... احص قطع الحجر من هنا ...
- نعم ..
- فاحصى " باربيه" قطع الحجر التي يتكون منها الإفريز .
ثم وقف عند القطعة السابعة ... وأجال الطرف حوله ...
ولم ير اثرا لـ " جانيمار" او احد رجاله ... فاخرج من جيبه سكينا وقال محدثا " داينجر " :
- وإذا لم اجدها ...
- إن لم يكن احدهم قد رآني وانا اخبئها ... فإنها لا تزال في موضعها بغير شك .
فهز " باربيه" راسه ..
من ذا الذي يصدق ذلك ؟ من ذا الذي يتصور أن اللؤلؤة السوداء

الشهيرة التي يربو ثمنها على نصف مليون فرنك تبقى في الأوحال عدة اسابيع تحت تصرف أول من يقع عليها بصره - سال :
- هل أحدثت لها ثقبا عميقا ...
- إنني خبأتها على عمق عشرة سنتيمترات أو ما يقرب من ذلك -
فراح " باربيه" يعمل نصل السكين في الشق بين قطعتي الحجر.. إلى أن ارتطم النصل بشيء .. فجعل يعمل باصبعه على توسيع الثقب.. حتى لاحت له اللؤلؤة .
- قال وهو يضعها في جيبه :
- خذ إليك الفين من الفرنكات .. وسابعث إليك غدا صباحا بتذكرة السفر إلى امريكا .
- وبعد يومين .. بينما كان " جان باربيه" المحامي يرتب أوراقه على مكتبه وعلى وجهه علامات البشر والارتياح ..
إذا بباب المكتب يفتح ... وإذا القادم مفتش البوليس" جانيمار" وكان " جانيمار" منتفخ الأوداج غضبا وحنقا فبادره " باربيه" بقوله :
- اهلا بالعزيز " جانيمار" ... ماذا بك يا رجل ؟ ... هل سرقت سنداتك مرة أخرى ..
فلم يجب " جانيمار" بل أخرج من جيبه نسخة من إحدى الصحف والقى بها امام " باربيه" ، وقال وهو يضع اصبعه على مكان معين بالجريدة :
- خذ واقرا .
- فتناول " باربيه " الجريدة وقرا بها النبا التالي :
- كان بين ركاب الباخرة " اتلانتيك" التي ابحرت أمس إلى أمريكا مسيو " فكتور داينجر" الذي اتهم بقتل الكونتس " دانديلو" واطلق سراحه مؤخرا .. "
- واية غرابة في هذ ! ؟ ..
- هذا الرجل هو قاتل الكونتس .
- هذا صحيح ...

- و " ارسين لوبين" شريكه .

- وهذا صحيح ايضا

- وقد استولى " ارسين لوبين" على الماسة السوداء .

- لا شك في ذلك

- وساعد هذا الشقي على الفرار إلى امريكا ليامن شره .

- إنك تحسد على هذا الذكاء يا " جانيمار" .

- كيف إذن دافعت عن هذا الشقي ... وانكرت اشتراك "لوبين" في الجريمة ..

- لانني لم اعرف الحقيقة إلا اليوم

- وكيف عرفتها ؟ ..

- جاءتني رسالة من " لوبين" يوضح فيها ما غمض من اسرار الجريمة .

- واين هذه الرسالة ؟ ..

فابتسم " باربيه" في خبث واجاب :

- هذا سر المهنة .

- وماذا قال " لوبين" في رسالته ...

- إنه اطرى ذكاءك ومهارتك وبعد نظرك .

- ثم ؟ ...

- ثم اوضح ما خفي عليك من امر مقتل الكونتس .

- وإذن فقد كان شريكا للقاتل كما توقعت ...

- إنه لم يكن شريكا بالمعنى الذي تفهمه ... وإنما كان من المصادفات العجيبة انه استطاع بطريقة ما أن يستولي على رسالة الكونتس إلى قريبتها ووريثتها ... وهي الرسالة التي اوضحت فيها الكونتس كيف تخبئ لؤلؤتها الثمينة ... فلما ذهب إلى بيت الكونتس للتحقق من مضمون الرسالة ... وجد المرأة المسكينة غارقة في بحيرة من الدماء .

- إذن فهو الذي زار البيت في الساعة الثالثة صباحا بدعوى مقابلة الدكتور " هاريل" .

- بالضبط .. فلما اكتشف الجريمة وتاكد من أن اللؤلؤة سرقت . اخذ يفكر ... وهداه تفكيره إلى معرفة الحقيقة .

- و هي ؟ ...

- وهي ان مرتكب الجريمة لابد ان يكون خادم الكونتس .

- واين ذهبت إذن ادلة الجريمة ؟...

- لقد قال لي في رسالته إنه اكتشف جميع الأدلة المادية التي تركها المجرم في فزعه ... فاستولى عليها جميعا ... واحتفظ بها لنفسه .. ولم يبق منها غير الزر .

- وماذا كان غرضه ؟ ...

- كان غرضه أن يتهم " داينجر" فيقبض عليه . ثم تبدو الأدلة غير كافية فيفرج عنه . وعندئذ يستطيع مقابلته وتهديده بالأدلة المادية التي عنده . ويسلبه غنيمته .

- فنظر " جانيمار" إلى المحامي بارتياب . وغمغم :

- اه ...

- ولا شك أن " داينجر" كان من السذاجة بحيث وقع في هذا الفخ .

- كان من السذاجة ؟...

- بالتاكيد ... لان " لوبين" لم يكن في استطاعته أن يخرج تهديده من حيز القول إلى حيز الفعل .

- لماذا ؟

- فاجاب " باربيه" وهو يبتسم :

- لسبب هين يدركه كل مشتغل بالقانون .. وهو ان القانون لا يجيز محاكمة الشخص مرتين لجريمة واحدة ... وقد حوكم "داينجر" وبراته المحكمة ... فكان من المستحيل قانونا إذن ان يحاكم للمرة الثانية .

(٣)

المحكوم عليه

جلس الشاب امام إحدى الموائد في مطعم " الإمبيريال" ... وراح يتناول طعامه ببطء .. ويجول ببصره بين اعمدة إحدى الصحف .

لابد ان نبا في الجريدة لفت نظر الشاب وأثار اهتمامه وفزعه .. لأن يده وقفت فجاة في منتصف الطريق إلى فمه ... ثم القى بالجريدة بغتة . ونهض واقفا . واستدعى خادم المطعم بصوت يدل على الفزع . وهتف به :

- كم الحساب؟... أسرع ...

ولفتت هذه الحركة نظر رجل اخر كان يتناول الطعام على المائدة المجاورة ... فنهض من مكانه بدوره وتناول الجريدة التي تركها الشاب على المائدة ... وأجال الطرف بين أنبائها . ولفت نظره النبا التالي :

- " علمنا والجريدة ماثلة للطبع أن المحامي " جوردان" الذي تولى الدفاع عن " جاك" اوبريو" قد تشرف اليوم بمقابلة رئيس الجمهورية . والمفهوم ان الرئيس رفض العفو عن المحكوم عليه ... وأن الإعدام سينفذ في المتهم غدا صباحا " .

- قال الرجل وهو يرد الجريدة إلى موضعها :

- لاشك ان هذا النبا هو الذي أزعج الشاب .

فنقد الخادم ورقة مالية ... وأسرع في اثر الشاب .

اقترب الرجل من الشاب ، وقال له :

- عفوا يا سيدي ... قد لاحظت انك غادرت المطعم في حالة انزعاج وفزع ... وكان نبا إعدام " جاك أو بريو" هو سبب فزعك واضطرابك ... اليس كذلك ؟ .

- بلى ... بلى ... إن " جاك او بريو" صديقي منذ الصغر .

وقد ازعجني نبا إعدامه ، وأريد الآن مقابلة زوجته للترفيه عنها .

لاشك ان المسكينة ستجن حزنا وفزعا .

- هل استطيع مساعدتكم بشيء؟ انا " جان باربيه" المحامي.

فغمغم وهو يقدم نفسه إلى محدثه :

- انا ادعى " دوتري" "جاستون دوتري" .

فقال " باربيه" :

- انا لا اعلم الكثير عن " جاك او بريو" وجريمته ولكني سمعت لغطا بشان ادلة الإدانة والأوراق المالية المسروقة واعتقد انني استطيع مساعدته إذا عرفت حقيقة قصته. الا استطيع ان اعرف المزيد من أمر الجريمة التي ارتكبها "اوبريو" ؟ ... كل ما اعلمه انه قتل احد اقربائه. اليس كذلك ؟ .

فذكر الشاب لسائق السيارة عنوان مدام " اوبريو" ثم تحول إلى " باربيه" وقال :

- إنه بريء يا سيدي . اقسم لك على انه بريء

إن "جاك" صديقي منذ عشرين سنة ... وانا واثق بانه بريء... هذا مخيف .. نعم هذا مخيف .

على ان رحلة السيارة لم تكن طويلة .. فوصلت إلى " نويلي" ودلفت إلى شارع ضيق .. ووقفت امام منزل يتكون من طابق واحد وهناك وثب " دوتري" من السيارة كمن به مس ، وراح يقرع الباب بشدة

ففتحت الباب إحدى الخادمات . وقالت للطارق :

- إن سيدتي مع أمها في قاعة الاستقبال .

فاجاب الشاب بحدة :

- اريد أن اراها في الحال .

ودخل وتبعه " باربيه" . فذهبت بهما الخادمة إلى غرفة فسيحة مؤثثة بذوق سليم . وهناك راى الرجلان سيدتين لا تزال الدموع تبلل اهدابهما .

كانت إحداهما متقدمة في السن وقد وخط الشيب شعرها . فتقدمت لاستقبال " دوتري" . وقدم إليها " دوتري" زميله . فقالت

السيدة على الفور موجهة كلامها إلى المحامي :

- أؤكد لك يا سيدي أن زوج ابنتي بريء ، إنه من أشرف الرجال وأطيبهم قلبا ، ومن المستحيل أن يكون قد قتل ابن عمه كما يزعمون إذا قتلوه كان ذلك ضربة قاضية على ابنتي التعسة . اقترب من الزوجة . ولم تكن قد تحركت من موضعها .

كانت لا تزال في مقتبل العمر وعلى جانب كبير من الفتنة والجمال . بيد أن الحزن ترك أثره العميق على وجهها الفاتن .

قال لها بصوت هادئ حزين :

- يا سيدتي ، إن قضية زوجك قد أثارت فضولي . وحزنك العميق قد أثار شفقتي . ولست أعلم ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك .. ولكن إذا كان في العالم شخص يستطيع أن يفعل شيئا مفيدا فإنني ذلك الشخص ..

لذلك أرجو أن تجيبي عن أسئلتي بوضوح وجلاء . وأن تعتقدي بأن الصراحة قد تغير الموقف تغييرا جوهريا .

إنك أولا تؤمنين ببراءة زوجك . أليس كذلك ؟..

فأجابت على الفور . وبلهجة الثقة واليقين :

- بلى يا سيدي .

- إنك لم تستطيعي إقناع المحقق ببراءة زوجك . فهل في مقدورك أن تقنعيني ؟.. هل في استطاعتك أن تبسطي لي الأسباب التى تحملني على الاعتقاد ببراءة زوجك ؟..

إنني لا أطالبك بسرد الحادث بالتفصيل .. فذلك من شأنه أن يزيد ألمك ، ويدمي جراح قلبك . كل ما أطالبك به هو أن تجيبي عن طائفة من الأسئلة .

- سل ما شئت يا سيدي .

سألها بعد أن طلب إلى والدتها أن تلزم الصمت :

-ماذا كانت مهنة زوجك يا سيدتي ؟..

- كان يشتغل مندوبا لإحدى شركات التأمين .

- هل كان موفقا فى عمله ؟..

- نعم ، حتى العام الماضي .

- وإذن ، فقد ساءت أحواله المالية في المدة الأخيرة ..

- نعم ..

- ومتى ارتكبت الجريمة ؟..

- في مارس الماضي .. في يوم أحد .

- والضحية ؟..

- هو ابن عم زوجي ويدعى "جيرار" ويقطن في (سورسن).

- والمبلغ الذي سرق ؟..

- ستون ورقة مالية ذات ألف فرنك .. كان مسيو "جيرار" قد قبضها من دين قديم له .

- هل كان زوجك يعلم بأمر هذا المبلغ ؟..

- نعم .. فقد اتصل به "جيرار" تليفونيا في يوم الأحد . وأنبأه به فألح عليه زوجي بألا يحتفظ معه بمثل هذا المبلغ الباهظ ونصح له بأن يودعه أحد البنوك في اليوم التالي .

- كان هذا الحديث التليفوني في صباح يوم الأحد؟

- بل في الساعة الواحدة بعد الظهر .. وكان زوجي قد وعد "جيرار" بأن يذهب إليه في بيته بالموتوسيكل الذي يستخدمه في تنقلاته . ولكنه كان متعبا .. فاتصل بابن عمه .. واعتذر له عن الحضور . وقضى بقية النهار هنا

- وحده ..

- نعم وحده .. وكنا قد رخصنا للخادمتين بإجازة في ذلك اليوم . أما أنا فقد ذهبت إلى دار للسينما في (تيرن)برفقة والدتي .. وصديقنا "دوتري" .

وفي المساء .. علمنا بمقتل "جيرار" .. وفي اليوم التالي ألقي القبض على زوجي .

- وماذا كانت أدلة الاتهام؟..

فترددت الزوجة التعسة .. وأدرك "باربيه" من ترددها أن الأدلة لابد أن تكون قوية دامغة .

أعاد عليها السؤال فأجابت :

-ثبت أن القاتل ذهب الى (سورسن) بموتوسيكل .. دلت الآثار على انه موتوسيكل زوجي . وقد عثروا كذلك على منديل في احد اركانه الحروف الأولى من اسم زوجي ..

ووجدوا أن المسدس الذي ارتكبت به الجريمة مسدس زوجي .

كذلك زعم أحد جيراننا انه رأى زوجي في الساعة الثالثة وهو ينطلق من المنزل بالموتوسيكل . وزعم آخر انه رأى زوجي عندما عاد إلى المنزل في منتصف الساعة الخامسة .

وقد قرر الطبيب الشرعي ان القتل حدث في الساعة الرابعة . فالأدلة كما ترى قوية . ولكني واثقة بان زوجي بريء .

- وبماذا دافع زوجك عن نفسه ؟ ..

- اكد انه قضى طيلة بعد الظهر نائما في فراشه . ولا شك أن احدهم استطاع في خلال ذلك أن يستولي على الموتوسيكل وينطلق به إلى " سورسن" اما المنديل و المسدس فكانا في حقيبة صغيرة ملحقة بالموتوسيكل ... فلا غرابة إذا كان القاتل الشقي قد استعان بهما في جريمته، واستخدمهما في إبعاد الشبهة عن نفسه . وإلصاقها بزوجي .

- هذا تفسير معقول ومقبول .

- نعم . ولكن المحقق لم يقتنع به لسببين . أولهما أن أحدا لم يستطع إثبات وجود زوجي في المنزل وهو الذي اعتاد الخروج بالموتوسيكل بعد ظهر ايام الأحد .

- والسبب الثاني ؟

- والسبب الثاني : هو أن القاتل ازدرد نصف محتويات زجاجة شراب عثر بها في مكتب "جيرار" وقد وجدت على الزجاجة بصمات اصابع زوجي .

ولزمت الصمت وقالت أمها :

- إنه بريء . اليس كذلك ؟ ... ليس في استطاعتهم أن يعدموا رجلا بريئا .. ليس من حقهم .. ليس من حقهم أن يقتلوا ابنتي بقتل زوجها . أواه! يا إلهي ... ماذا فعلنا لكي يضطهدونا هكذا!؟.. مسكينة انت يا بنيتي .

فغمغم " دوتري" :

- إنها سوف تقتل نفسها حزنا .. نعم، إن المسكينة لن تتصور أن زوجها سيعدم غدا ! أنا واثق انها ستقتل نفسها قبل أن يعدم زوجها

- سأله " دوتري" :

- إنك لا تستطيع ان تفعل شيئا من اجلهم . اليس كذلك ؟

- نحن الآن في منتصف الساعة الثانية عشرة ...

وغدا صباحا .

- هل تعتقد انه مجرم ؟ .

- لا اعلم ... لا اعلم ... بيد ان زوجته تؤمن ببراءته ... وإيمانها هذا له قيمته . ولا يجوز إغفاله .

إن الزوجين المتحابين قل ان يخطئ شعور أحدهما نحو الآخر... ومع ذلك

وجلس على احد المقاعد .. واشعل لفافة تبغ ... وراح يدخن في سكون .

واخيرا ... نهض "باربيه" واقفا وامسك بيدي الزوجة الشابة وقال لها في لطف :

- يجب الا تقطعي الأمل .. ويجب الا تقتلي نفسك حزنا وأسى ... واعدك من ناحيتي بالا اقنط حتى آخر لحظة .. ولكني بحاجة إلى رباطة جاشك وثقتك .

- ساكون رابطة الجاش يا سيدي .

- وثقي بي .

- إنني اثق بك يا سيدي .

- حسنا ... اصغي إلي يا سيدتي ... إنني سانصرف الآن .. ولكنني ساعود إليك بعد ساعتين بالخبراليقين ..

فهل تعدينني بان تلوذي بالصبر حتى أعود ..

- اعدك بذلك .

- حسنا ... هل تاتي معي يا مسيو "دوتري" ؟

وعندما انصرف الرجلان ... التفت "باربيه" إلى الشاب وساله :

- هل تعرف مطعما صغيرا هادئا!...

- اعرف مطعم "لوتيسيا" في ميدان "تيرن" وهو كائن باسفل المنزل الذي اقيم فيه .

- حسنا ... إن هذا المطعم يلائم غرضنا أكثر من سواه .

وساد الصمت بين الرجلين بعض الوقت ثم التفت "باربيه" إلى "دوتري" وقال له :

- يخيل إلي انني قرات في الصحف انهم عرفوا أرقام الأوراق المالية التي سرقت من القتيل وكانت سببا في قتله ... اليس كذلك؟

- بلى ؛ لان القتيل كان قد سجل هذه الارقام في دفتر صغير معه .

- هنا المشكلة ! .. اين ذهبت الأوراق المالية ؟ ... إذا عرفنا جواب هذا السؤال ... قطعنا الشك باليقين في أمر المجرم .

ولما بلغا إلى مطعم "لوتيسيا" ، انتحيا هناك ناحية خاصة . حيث وجدا هناك جهازا للتليفون .

تناول السماعة وهتف :

- الو .. أريد الاتصال بإدارة البوليس ... إدارة البوليس .. هل المفتش "جانيمار" موجود؟ .. نعم ... أريد التحدث إليه . إنه يعرفني حق المعرفة وقد اشتركنا معا في العمل مرارا .

ثم التفت إلى "دوتري" وقال :

- لا مانع لديك بالتاكيد من أن ادعو أحد مفتشي البوليس للتعاون معنا ..

- كلا .. بالتاكيد ... يجب ان نبذل قصارى جهدنا لإنقاذ "اوبريو".

- الو ... الو . "جانيمار" ! هل عرفت صوتي ؟ يا لك من رجل ذكي! اصغ إلي يا "جانيمار". بين يدي قضية خطيرة سوف يكتب لك فيها المجد. اصغ . اصغ . لاتقطع علي الحديث . إن في استطاعتي أن ارشدك إلى الحلقة المفقودة في قضية "جاك أو بريو" .

نعم. إنني اعرف مكان الأوراق المالية التي سرقها "اوبريو" من ابن عمه بعد أن قتله ...

فإذا كان يهمك ان تضع يدك على هذه الأوراق فاحضر في الحال لمقابلتي بمطعم لوتيسيا في "تيرن".

إنني هنا في انتظارك مع مسيو "دوتري" صديق "اوبريو".

ووضع "باربيه" السماعة ، ونظر إلى "دوتري" ، فراى على وجهه علامات الدهشة الشديدة ....

- ساله هذا الأخير :

- هل اكتشفت مكان الأوراق المالية بهذه السرعة ؟ ... كيف استطعت ان؟

- إنني لم اكتشف شيئا على الإطلاق .

- إذن ؟ ..

- بيد انني ابدا عملي دائما كما لو كنت اعرف كل شيء ... وهي خطة تؤدي في غالب الأحيان إلى النتيجة المطلوبة.

ثم استطرد بعد لحظة :

- سيكون "جانيمار" هنا بعد عشرين دقيقة على الأكثر .

- وإذا لم يحضر ؟

- يكون ذلك مبعثا للدهشة و العجب .

ثم ابتسم واستطرد :

-ولكني واثق بانه سيحضر ، ولو انني قلت لـ"جانيمار إن "اوبريو" بريء فاحضر لاقدم إليك الدليل على براءته ، إذن لضرب بكلامي عرض الأفق . لانه من المستحيل أن يصغي إليك رجال البوليس والعدالة مهما اكدت لهم أن المحكوم عليه الذي سينفذ فيه الحكم غدا بريء .

كلا ... إن "جاك اوبريو" هو الآن ملك للجلاد . ولن ينقذه من الإعدام إلا معجزة من المعجزات .

على انك إذا قلت لرجال البوليس إنك وقفت على الحلقة المفقودة في قضية متهم حكم عليه بالإعدام . فإنهم لا يترددون في الإصغاء إليك ! لانك ستقدم إليهم دليلا يزيد مركز المتهم إحراجا . ويزداد اهتمامهم بالتاكيد ، متى كانت هذه الحلقة المفقودة هي الركن الضعيف في التحقيق .

- ولكن ما دمت لا تعلم على وجه التحقيق فإن

- اصغ إلي يا صديقي ، إذا استعصى على الإنسان في تحقيق الجرائم ان يعرف حل هذا اللغز أو ذاك ، فإن الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الموقف ، هي ان يفترض احد الفروض ، ويبني جميع النتائج على هذا الافتراض .

- وهل تفتق ذهنك عن نوع من أنواع الفروض ؟

- بالتاكيد .. إنني افترضت فرضا ، ولو كان لدي متسع من الوقت لبذلت قصارى جهدي للتحقق من صحة هذا الفرض . ولكني للأسف لا اجد امامي غير مهلة ساعتين .

ولذلك قررت ان امضي في طريقي على أساس صحة افتراضي .

- وإذا كنت مخطئا ؟ ..

- ليس لي أن أختار . فالوقت ضيق . وليس لدي متسع للتحقق من صحة افتراضي الذي اعتقد مع ذلك انه اقرب الفروض إلى الحقيقة .

وفي هذه اللحظة . فتح باب المطعم .. ودخل "جانيمار" .

- نظر "جانيمار" إلى "باربيه" شزرا وجلس دون أن يحييه فابتسم باربيه" وقال :

- دعني اتدارك ما غاب عنك من تقاليد اللياقة أيها العزيز "جانيمار" فاقدم إليك هذا الصديق . مسيو "جاستون دوتري" ..

فحنى "جانيمار" رأسه للشاب .

واستطرد "باربيه" ..

- انت تعلم بالتاكيد لماذا دعوتك .

- الم تدعني من اجل الأوراق المالية التي سرقت من مسيو "جيرار"؟.. ها هي ذي أرقامها .

واخرج من جيبه ورقة فتناولها "باربيه" .. والقى عليها نظرة سريعة ، ثم قال :

- حسنا فعلت بإحضار هذه القائمة ... والآن ... اصغ إلي ياعزيزي "جانيمار"؟ ... إنني قمت في قضية مقتل مسيو "جيرار" بتحقيق دقيق ... انتهى إلى نتيجة مهمة .

- هي ؟ ..

- هي ان القاتل بعد أن ارتكب جريمته . وضع الموتوسيكل في بيت المتهم الذي حكم عليه فيما بعد بالإعدام . ثم جاء إلى هنا مسرعا ... ودخل هذا البيت .

- هذا البيت ...

- نعم ... هذا البيت الذي يقع المطعم في اسفله .

- ولكن ماذا يصنع هنا ؟ ...

- جاء لإخفاء غنيمته ... لإخفاء الأوراق المالية

- كيف ... واين اخفاها ؟...

- اخفاها في شقة بالطابق الخامس ... كان معه مفتاحها فصاح "دوتري" في دهشة :

- ولكن لا توجد في الطابق الخامس سوى شقة واحدة ... وانا الذي اقيم في تلك الشقة

- هذا ما اعلمه . ولكن لما كنت انت قد ذهبت إلى دار السينما برفقة مدام "اوبريو" وامها ... فقد انتهز القاتل الفرصة ودخل الشقة واخفى بها الأوراق المالية .

- مستحيل ... إنني احتفظ دائما بالمفتاح معي .

- إنه في الاستطاعة الدخول بلا مفتاح

- ولكني لم اجد أي أثر .

فقال "جانيمار" :

- في استطاعتنا أن نتفاهم في هدوء ... فقال " جانيمار" أنت تقول يا " باربيه" إن الأوراق المالية المسروقة قد أخفيت في شقة مسيو " دوتري" .

- نعم ..

- إذا صح هذا .. وجب أن تكون الأوراق لا تزال في مخبئها لأن " جاك اوبريو" قد ألقي القبض عليه في صباح اليوم التالي للجريمة ... فلم يجد فسحة من الوقت لاسترداد الغنيمة .

- هذا رأيي .

وهنا لم يتمالك "جاستون دوتري " من أن يضحك

قال في تهكم :

- هذا غريب حقا ! ... إذ لو صح لكنت وقعت على الأوراق المالية في شقتي ...

- فسأله " باربيه" .

- هل بحثت عنها في شقتك ؟...

- لا .. ولكن كان في استطاعتي أن أعثر عليها في أي وقت ... لأن الشقة ضيقة ... ويستطيع الإنسان بنظرة واحدة أن يحيط بكل محتوياتها .. هل تريد أن تراها؟...

- فقال " باربيه" :

- مهما كانت مساحة الشقة .... فإن في الإمكان إخفاء ستين ورقة مالية في أحد أركانها .

- ذلك ممكن بالتأكيد .. ذلك ممكن ... ومع هذا فإنني أؤكد لك مرة أخرى أن أحدا لم يدخل شقتي في أثناء غيابي ... وأنه لا يوجد للشقة سوى مفتاح واحد ... وإنني أقوم بترتيب بيتي بنفسي ... وإنني لا أستطيع أن أفهم تماما كيف ؟ ..

ولم يتم الفتى كلامه .

ذلك لأنه رأى الحيرة كذلك مرتسمة على وجه " جانيمار" .

كان مفتش البوليس قد أدرك الموقف على حقيقته ... ولكنه لم يستطع بدوره أن يفهم الغرض الذي يرمي إليه " باربيه " .

بيد أنه قال :

- مادام " باربيه" يزعم أن الأوراق المالية أخفيت في شقتك . فإن أبسط وسيلة للتحقق من صحة هذا الزعم أو خطئه هي أن نفتش الشقة ... أليس كذلك ؟ ..

- بلى .. بلى ... هذه حقا أبسط وسيلة .. هلما بنا .

وصعد ثلاثتهم السلم حتى الطابق الخامس . وهناك فتح "دوتري" باب الشقة بمفتاح معه .

وبدأ " باربيه" و " جانيمار" يفتشان الشقة . وكان الأول كلما حرك شيئا من موضعه احتج الشاب . وأسرع إلى الشيء فأعاده إلى مكانه ...

وأخيرا برم بعبث " باربيه" بأمتعته وأثاثه . فقصد إلى النافذة وفتحها وأطل منها . كأنه لا يطيق أن يرى مثل ذلك العبث بأشيائه التي يحلها من نفسه محلا مقدسا .

- هل أنت واثق ؟ ..

- نعم . نعم . أنا واثق كل الوثوق بأن الأوراق المالية قد جيء بها إلى هنا بعد الجريمة .

- لنبحث إذن ... ولكن ...

ونظر إلى " باربيه" نظرة خاصة ... فابتسم هذا وقال :

- كن مطمئنا ... المسألة في هذه القضية مسألة حياة أو موت.

فلم يفهم " جانيمار" غرضه ولكنه استأنف التفتيش. ولم يطل بهما الأمر لأن الشقة كانت صغيرة . وقد فرغا من تفتيشها تفتيشا دقيقا في أقل من نصف الساعة وأخيرا قال " جانيمار":

- لا يوجد شيء ... فهل نعيد تفتيش الشقة ؟

فأجاب " باربيه" :

- لا ! إن الأوراق المالية ليست هنا الآن .

- ماذا تعني ؟ ...

- اعني نقلت من هنا .

- ومن الذي نقلها ؟... ارجو ان تحدد الاتهام .

فلم يجب " باربيه " ... ونظر إليه " دوتري" شزرا ثم قال بحدة :

- أصغ إلى يا سيدي المفتش . ساوفر على هذا السيد مؤونة تحديد الاتهام .

- لقد ادركت من كلام مسيو " باربيه" واعماله ان هنا رجلا غير شريف . وان الأوراق المالية التي اخفاها القاتل هنا قد اكتشفها هذا الرجل غير الشريف واستولى عليها ونقلها إلى مكان آخر

اليس هذا ما تبادر إلى ذهنك ياسيدي ؟ الست تعتقد انني سارق الاوراق المالية ...

وتقدم من " باربيه " خطوة اخرى ... وصاح ... وهو يدق صدره بشدة :

- انا ؟.. انا وجدت الأوراق المالية واحتفظت بها لنفسي؟ اتجسر على ان تتهمني بهذا ؟

فلم يجب " باربيه".

وامسك الشاب بساعد "جانيمار" وراح يصيح :

- اصغ إلي يا سيدي المفتش : إنني احتج بشدة على هذه المهزلة واحتج على إقحامك في هذه القضية .

لقد صرح لي هذا السيد قبل قدومك بانه لا يعلم شيئا على وجه التحقيق . وانه سيحاول ان يخبط خبط عشواء . ويفترض اول فرض يتفتق عنه ذهنه . ويترك الأمر بعد ذلك للظروف . اليس كذلك يا سيدي؟..

- فلم يخرج " باربيه" عن صمته .

استطرد الفتى :

- تكلم يا سيدي ، تكلم ، إنك تزعم المزاعم ولا تتقدم باي دليل.

إن من السهل ان تتهمني بسرقة الأوراق المالية ...

ولكن يجب عليك قبل ان توجه إلي هذه التهمة . ان تثبت انها هنا .. او انها كانت هنا .. وان تقول لنا من ذا الذي جاء بها؟. ولماذا اختار القاتل شقتي دون أي مكان آخر لإخفاء غنيمته ؟ ..

وهنا ظهرت على وجه "جانيمار" علامات الضجر والقلق .

ونظر إلى "باربيه" متسائلا . فقال هذا :

- ما دمت تريد قولا صريحا مؤيدا بالادلة والبراهين .. فإنني اترك لمدام "اوبريو" .. زوجة المحكوم عليه بالإعدام .. ان تقدم لنا الادلة المطلوبة ..

إن في بيتها جهازا للتليفون ، اليس كذلك .. هلما بنا إذن إلى المطعم، سنقطع الشك باليقين بعد دقيقة واحدة .

- على رسلك ، ولكني واثق بانك تضييع وقتك هباء

- هلما بنا ..

- انت تريد التعجيل بانصرافنا من شقتك ..

- بل اريد التعجيل بتكذيب مزاعمك وإظهار الحقيقة .

وهبطوا السلم ، ودخلوا المطعم . فوجدوه خلوا من الزبائن ، وبحث "باربيه" في دفتر التليفون عن رقم مدام "اوبريو" وتناول السماعة ... اجابته الخادمة بان مدام "اوبريو" قد اصابتها نوبة عصبية ، واغمي عليها ، وانها الآن طريحة الفراش ... فقال لها:

- إذن دعيني اتحدث إلى والدتها ، انا "جان باربيه" المحامي . وكان جهاز التليفون في المطعم ذا سماعتين ، فقدم السماعة الثانية إلى "جانيمار" .. وقال له :

- أصغ إلى حديثنا جيدا .. ولا تنطق بكلمة .

ثم هتف في جهاز التليفون :

- أهذه انت يا سيدتي ؟

- نعم .. هل انت مسيو "باربيه" ؟ ..

ثم استطردت على الفور بلهجة الضراعة :

- هل من جديد يا سيدي .. هل يوجد ثمة أمل ؟ تكلم بالله يا سيدي.

- إن التحقيق الذي اقوم به يتقدم تقدما محسوسا ، فلا تياسي . لقد اتصلت بك الآن للوقوف منك على بعض معلومات على جانب عظيم من الخطورة والأهمية . وارجو أن تجيبي عن أسئلتي بدقة وصراحة.

هل جاء مسيو "جاستون دوتري" إلى بيتكم في يوم ارتكاب الجريمة؟

- نعم .. جاء بعد أن تناولنا طعام الغداء .

- وهل علم وقتئذ بأن مسيو "جيرار" قد قبض مبلغ الستين الف فرنك ؟ ..

- نعم ، إنني انبأته بذلك بنفسي .

- وهل علم وقتئذ كذلك بأن "جاك أوبريو" متعب وليس في نيته أن يتنزه بالموتوسيكل كالعادة ؟ .. وانه سيقضي بقية النهار في فراشه؟

- نعم

- هل انت واثقة بذلك يا سيدتي ؟ ..

- كل الوثوق .

- وهل ذهب ثلاثتكم انت وابنتك ومسيو "دوتري" إلى دار للسينما بعد ذلك ؟..

- نعم .

- وهل جلستم معا في صالة السينما

- آه .. لا .. لم نجد مقاعد خالية .. فجلس مسيو "دوتري" على مبعدة منا .

- وهل كان جلوسه في مكان تستطيعان أن ترياه فيه ؟ ..

- لا .

- وهل رايتماه في أثناء الاستراحة بين عرض الأفلام ؟ ..

- لا ، لم نره بعد ذلك إلا عند الانصراف .

- أليس عندك أي شك في هذه النقطة ؟ ..

- نعم ليس عندي شك .

- شكرا لك يا سيدتي ، ساحضر إليك بعد ساعة لأنهي إليك نتيجة عملي ، إنما أرجوك ألا توقظي مدام "أوبريو" .

- وإذا استيقظت ؟ ..

- وإذا استيقظت فطمئنيها . إن كل شيء يسير من حسن إلى احسن، وإن نجاحنا اعظم بكثير مما كنت اتصور .

ثم وضع السماعة .. وتحول إلى "دوتري" .. وقال له وهو يضحك:

ما رأيك الآن أيها الشاب .. لقد تغير الموقف تغيرا محسوسا .

فنظر "جانيمار" إلى "باربيه" في دهشة. لم يفهم النتيجة التي خرج بها من هذا الحديث التليفوني.

ساد صمت عميق ..

وأخيرا التفت "باربيه" إلى "جانيمار" وقال له :

- ارجو أن تامر صاحب المطعم بإغلاق الباب .. وبالا يدع احدا يزعجنا مهما كانت الظروف .

فصدع "جانيمار" .. ولما عاد وجد "باربيه" يسير في المكان جيئة وذهابا

وأخيرا وقف أمام "دوتري" وقال بلهجة تنم عن السخرية:

- صفوة القول يا سيدي العزيز أن مدام "أوبريو" ووالدتها لم ترياك في المدة بين الساعة الثالثة والساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأحد الذي ارتكبت فيه الجريمة هذه في الواقع حقيقة عجيبة .

فأجاب "دوتري" :

- بل إنها طبيعية للغاية .. ولا تثبت شيئا .

- بل تثبت انك استمتعت بحريتك ساعتين كاملتين .

- بالتأكيد . وقد قضيت هاتين الساعتين في السينما.

- او في مكان آخر ..

فنظر إليه "دوتري" بحدة ثم استطرد قائلا :

- نعم . لانك كنت حرا كما قلت لك ... وكان في استطاعتك ان تذهب للنزهة في اي مكان .... في " سورسن" مثلا .

فاجاب الشاب بلهجة الدعابة :

- اه .. " سورسن" ... ولكن " سورسن" بعيدة.

- بل إنها قريبة جدا .. الم يكن معك موتوسيكل صديقك "جاك او بريو" .

وساد الصمت مرة اخرى ، ورأى " جانيمار" اهداب الفتى تتحرك بسرعة ، وكانه يحاول ان يفهم ، واخيرا هتف الشاب بصوت اجش :

- اه .. فهمت ماذا تعني يا لك من تعس !

فالقى " باربيه" بيده على كتف " دوتري" وقال :

- كفى ثرثرة ، لقد كنت يا " دوتري" الشخص الوحيد الذي عرف في ذلك اليوم امرين مهمين ، اولهما ان مسيو " جيرار" يملك في بيته ستين الفا من الفرنكات . وثانيهما ان " اوبريو" قد عدل عن الخروج بالموتوسيكل كما اعتاد ان يخرج .

- عرفت إذن هاتين الحقيقتين ، ووضعت خطتك في الحال وكان الموتوسيكل في متناول يدك . فتسللت من دار السينما في اثناء عرض الافلام . وانطلقت إلى " سورسن" وقتلت مسيو " جيرار" واستوليت على الاوراق وجئت بها إلى شقتك .

وفي الساعة الخامسة . لحقت بالسيدتين في دار السينما.

وقد اصغى " دوتري" إلى كلام غريمه بمزيج من الدهشة والفزع. وراح ينظر إلى " جانيمار " بين الفينة والفينة كانه يستشهد به فهتف:

- هذا الرجل مجنون يا سيدي المفتش . انت تضيع وقتك في الإصغاء إلى هذيانه .

ثم استغرق في الضحك وقال :

- ما اعجب هذا .. إذن فانا الذي راه الجيران بروح ويغدو بالموتوسيكل ..

- نعم انت .. لانك كنت متنكرا في ثياب "اوبريو" .

- وانا الذي وجدت بصمات اصابعه على زجاجة النبيذ في مكتب مسيو "جيرار" ..

فقال "باربيه" :

- لقد كانت زجاجة النبيذ على مائدة "اوبريو" في بيته .. وكان قد تناول بعض محتوياتها في اثناء الغداء . فحملتها انت معك إلى بيت "جيرار" لتكون دليلا جديدا ضد "اوبريو" البريء .

فنظر "دوتري" إلى وجه محدثه كمن يلتذ بسماع قصة مسلية وقال :

- انت تنتقل من عجيب إلى اعجب . انت تعني إذن انني دبرت كل هذا للإيقاع بـ"جاك اوبريو" واتهامه بالجريمة ..

- لقد كانت تلك اضمن وسيلة لإبعاد التهمة عن نفسك .

- نعم ولكن "جاك" كان صديقي منذ عهد الطفولة .

- انت تحب زوجته

فوثب الشاب من مكانه . وصاح وقد استولى عليه الغضب فجأة:

- اتجسر على ؟.. هذه قحة .

-إن عندي الدليل

- كذلك . فإنني لم اشعر قط نحو مدام "اوبريو" بغير الاحترام والإجلال .

- هذا في الظاهر . ولكنك في الواقع تحبها وتريدها لنفسك . لا تحاول الإنكار فإن عندي الدليل كما قلت لك .

- كذلك فانت لم تكن تعرفني قبل ساعة .

- إنك مخطئ فلقد كنت اتعقبك منذ ايام واتحين الفرصة للإيقاع بك واقتناصك .

ثم امسك بكتف الشاب وهزه بعنف وصاح :

- اعترف يا "دوتري" ، اعترف ! قلت لك إن عندي البراهين الكافية على جرمك ، وعندي شهود سادعوهم لإدانتك . اعترف ! قل إن ضميرك يؤنبك على ارتكاب جريمتين في وقت واحد . تذكر ما استولى عليك من

الجزع وانت في المطعم ظهر اليوم عندما قرأت في الصحف نبأ إعدام صديقك . إنك لم تكن تريد له الإعدام كان يكفيك أن يحكم عليه بالأشغال الشاقة ، أما إعدامه وإعدامه غدا ، وهو البريء الذي لم يرتكب إثما ،فذلك ما لم تكن تتوقعه .. اعترف لتنجو برأسك ..

وكان "باربيه" يتكلم بحدة ، وهو منحن امام الشاب ، كانه يريد أن ينتزع منه الاعتراف انتزاعا .

غير ان الشاب نظر إليه ببرود واحتقار وقال بصوت هادئ :

- انت مجنون يا سيدي ، وليس في هذيانك كلمة واحدة تنطبق على الحقيقة ... وجميع الاتهامات التي توجهها كاذبة ..وجوفاء..!

لقد زعمت بلهجة التاكيد ان الأوراق المالية المسروقة في بيتي، فهل وجدتها ؟ ..

فهز " باربيه" قبضته في وجه الشاب بغضب وصاح :

- الا تريد أن تعترف ؟ ... صبرا إذن .

ثم انتحى بـ " جانيمار " ناحية وقال له في همس :

- ما قولك في هذا التعس .. إنه مجرم ثابت الجاش.

فهز "جانيمار " راسه وأجاب :

- ربما ... ولكننا لا نملك حتى الآن ما يجيز لنا اتهامه ... هل أنت واثق بانه هو الذي ارتكب الجريمة ..

- لا يمكن ان يكون مرتكبها احد سواه . وقد لاحظت ازدياد قلقه كلما اقتربت منه الشكوك .

- وهل كان يحب مدام " اوبريو" حقا ؟

- هذا امر منطقي .. ولكنه كان مجرد افتراض ..آه .... لو أستطيع العثور على الأوراق المالية فقط، ولكن صبرا ما هذا ؟ .

- وسمع الرجلان فجاة جلبة غير عادية ، ثم فتح الباب ودخل صاحب المطعم وهو يصيح :

- مسيو "دوتري" ... الا يزال مسيو "دوتري" هنا ..

- اه ... مسيو "دوتري" . إن النار قد شبت في شقتك ...

- لقد رآها أحد المارة وانبانا .

فلمعت عينا الشاب بسرعة ... وارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة، ولم تستغرق هذه الابتسامة اكثر من ثانية واحدة .

ولكن " باربيه" لاحظها وادرك معناها .

صاح في غضب :

- تبالك أيها الشقي ... لقد فضحت نفسك ... إنك انت الذي اشعلت النار في شقتك ... وها هي ذي الأوراق المالية تحترق الآن.

ووثب الفتى من مكانه ليصعد إلى شقته . غير أن " باربيه" وقف في طريقه ومنعه من الخروج .

- صاح "دوتري" :

- دعني أيها المعتوه . إن النار تلتهم بيتي ولا يوجد من يستطيع الدخول ، لأن المفتاح معي . خذ، ها هو ذا المفتاح . دعني امر .

فانتزع " باربيه" المفتاح من يده وقال :

- لا تتحرك من هنا أيها العزيز . لقد ربحنا الشوط .

ثم أخرج من جيبه مسدسا وضعه في يد صاحب المشرب وهو يقول:

- ابق في حراسة هذا الرجل . وحذار ان يفلت منك وإذا حاول الفرار فاطلق عليه الرصاص ! . هلم معي يا " جانيمار " .

- وصعد " باربيه" و " جانيمار " السلم على عجل. قال الثاني ممتعضا :

- يستحيل ان يكون هو الذي وضع النار في شقته لانه قضى الوقت معنا . ولم ينتقل من مكانه .

- إنه اشعل النار في الشقة سلفا .

- كيف ذلك؟ . كيف؟ ...

- لا اعلم ... ولكن ليس من المؤكد أن تشتعل النار بلا مبرر في ذات الوقت الذي يخشى فيه الإنسان ضبط اوراق تدينه ..

وسمعا ضجة شديدة في الطابق الخامس .

كان خدم الشقق يحاولون تحطيم باب الشقة . فلما اقترب " باربيه"

و "جانيمار" من ذلك الباب امتلأت خياشيمهما برائحة حادة

صاح "باربيه" بالخدم :

- افسحوا السبيل .

ووضع المفتاح في قفل الباب ... وأداره . ففتح الباب ... وانفجرت منه سحب كثيفة من الدخان ، حتى خيل للقوم أن الشقة كلها قد ذهبت طعمة للنيران .

بيد أن "باربيه" لاحظ في الحال أن النار قد خبت من تلقاء نفسها بعد إذ لم تجد ما تلتهمه .

- قال محدثا "جانيمار" :

- مر هؤلاء الناس بألا يدخلوا ، إن أي عبث قد يذهب بأثر الأدلة ، والأفضل أن تغلق الباب

دخل "باربيه" الشقة أولا ، واهتدى في الحال إلى المكان الذي انحصر فيه الحريق .

كانت تعلو الجدران وقطع الأثاث طبقة سوداء من تأثير الدخان ولكن شيئا منها لم تصل إليه النار .

والواقع أن النار لم تلتهم غير كومة من الورق أمام النافذة .. وقد أحالتها كلها إلى رماد .

ضرب "باربيه" جبهته بيده وهتف :

- يا لله .. ما أشد غباوتي ..ما أشد غباوتي!

- ماذا ؟..

- علبة الورق التي يضع فيها الشقي قبعته بقصد صيانتها من الغبار .. في هذه العلبة كان يخفي الأوراق المالية عندما فتشنا الشقة

- مستحيل ..

- بل ذلك هو الواقع ، إن الانسان يغفل دائما عن تفتيش هذا المخبأ الذي هو أظهر المخابئ وأقربها إلى الأيدي .

والواقع من ذا الذي يتصور أن يترك اللص ستين ألفا من الفرنكات في علبة من الورق ظاهرة للعيان ؟

إن حيلته جديرة بالإعجاب . فقد وضع قبعته في العلبة عندما دخل وبذلك أخفى تحتها غنيمته .. ثم تناول القبعة عند انصرافنا فلم نلاحظ شيئا .

فظهرت علامات الارتياب على وجه "جانيمار" وغمغم قائلا :

- كلا .. مستحيل .. لقد كنا معه هنا وفي المطعم .. ولا يمكن أن يكون هو الذي أشعل النار .

- إنه أعد كل شيء استعدادا للطوارئ .. ولابد أن يكون قد بلل العلبة والأوراق المالية بمادة ملتهبة .. فلما انصرف معنا ....ألقى على العلبة عود ثقاب .. أو مادة كيمائية لا ادري ما هي فحدث الحريق

فقال "جانيمار" :

- لو أنه فعل ذلك لرأيناه .. وبعد .. فليس من المعقول أن يرتكب جريمة قتل ليسرق ستين ألف فرنك .. ثم يبيد الأوراق المالية بهذه الصفة .

وما دام قد نجح في إخفاء الغنيمة بحيث لم نعثر عليها ، فما الذي يحمله على التخلص منها بلا مبرر ؟

- إنه كان خائفا يا "جانيمار" ولا تنس أن المسألة بالنسبة إليه مسألة موت أو حياة .

إنه يضحي بكل شيء لينقذ رأسه من المقصلة .. وقد كانت هذه الأوراق المالية هي الدليل الوحيد الذي يثبت جريمته فكيف لا يبيد هذا الدليل

فدهش "جانيمار" وسأل

- كيف تقول إنها الدليل الوحيد ؟

- بالتأكيد ، إنها الدليل الوحيد

- والشهود الذين تكلمت عنهم ، والأدلة التي كنت تلوح بها ؟

- كل هذه لا وجود لها

فعض "جانيمار" على شفته وغمغم :

- يا لله .. ما أشد جرأتك !

- إذا فاتتك الأدلة للإيقاع بالمجرم ، فإن الجراة والتفكير السليم يقومان مقام الأدلة .

قال ذلك وراح يفحص ما تخلف عن الحريق ، ثم غمغم :

- لا شئ غير الرماد .. ولكن كيف استطاع هذا الشيطان أن يشعل النار في هذه العلبة؟ ..

وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا .. وشعر "جانيمار" بأن هذا الرجل الداهية الغريب الأطوار يعصر ذهنه .. ويبذل جهد الجبابرة لكي ينفذ ببصيرته إلى ما وراء الحجب .

سأله بشيء من السخرية :

- هل انهارت خطتك يا صاح ؟

- لا .. لم أفقد كل أمل. لقد شعرت باليأس منذ لحظة أما الآن..

ولمعت عيناه .. وأخذ يبحث في أنحاء الغرفة .. حتى وجد علبة من الورق شبيهة بتلك التي احترقت .. فوضعها فوق الرماد .. وأشعل فيها النار كذلك حتى التهمتها إلا بعض أطرافها.

فنظر بعدئذ إلى "جانيمار" وقال وهو يبتسم :

- إنني الآن بحاجة إلى معونتك يا "جانيمار" .. وكل ما أطلبه منك الآن هو أن تذهب إلى "دوتري" ، وتقول له هذه الكلمات (لقد افتضح أمرك يا صاح . والأوراق المالية لم تحترق كلها .. فاتبعني)

وجئ به إلى هنا .. فتردد "جانيمار" لحظة

ثم أدرك طرفا من حيلة "باربيه" .. ولم يطوع له ضميره أن يشترك معه في إنفاذها .. لأنها تقوم على التهويش والدجل فهي في نظره حيلة غير مشروعة ..

تحول إلى "باربيه" ، ونظر إليه كمن يريد أن يقول له :

- ألا تكف عن العمل بهذه الأساليب ؟

وفهم "باربيه" معنى نظرته .. وأدرك سبب تردده فابتسم وقال له:

- لا تنس يا "جانيمار" أن المسألة مسألة حياة أو موت .. وأن هناك بريئا سيعدم غدا صباحا ... إذا لم نتمكن هذه الساعة من اقتناص

المجرم الحقيقي .

ألم أقل لك مرارا إنني لا أبغي أبدا غير إحقاق الحق .. ومساعدة الأبرياء وتمكين العدالة من وضع يدها على المذنبين ؟

فتنهد "جانيمار" .. وانصرف نزولا على إرادة "باربيه" .

أما هذا الأخير ، فإنه لم يكد يخلو إلى نفسه حتى جلس على أحد المقاعد وأجال حوله نظرة أحاط فيها بكل محتويات الغرفة. واستقرت عيناه أخيرا على بقعة من الضوء في حجم قطعة النقود كانت تارة تبدو على أرض الغرفة واضحة ساطعة .. وتتلاشى تارة أخرى كلما حجبت السحب قرص الشمس .

حملق "باربيه" طويلا إلى هذه البقعة .. وقطب حاجبيه وفكر لحظة .. ثم انبسطت أسارير وجهه فجأة وقال :

- ياله من داهية

وفي هذه اللحظة .. عاد "جانيمار" وبرفقته "دوتري" .

فنهض "باربيه" من مكانه ، وسار إلى الشاب ، وأمسك بساعده. نظر في وجهه طويلا ثم انفجر ضاحكا .. وقال :

- مرحى يا فتى .. إنك أبرع مما كنت أظن . ففكرة العلبة وآنية الماء وقرص الشمس لاتخطر إلا ببال الشيطان .

فغمغم "دوتري" في شيء من الاضطراب :

- بماذا تهذي يا هذا ؟

فقال "باربيه" بلهجة جدية :

- أصغ إلي يا فتى .. إن النار لم تلتهم غير جزء من العلبة .. والتهمت الأوراق المالية إلا أطراف عدد قليل منها .. هل فهمت ؟ الأوراق المالية المسروقة ؟ الأوراق المالية التي هي أهم دلائل الجريمة إن أطراف بعضها لم تلتهمه النيران .. وهاهي ذي ... وأرقامها لا تزال ظاهرة ..... خذ وانظر ..

إنك ضعت يا صديقي العزيز .. ومن العبث أن تكابر أو تنكر.

فامتقع وجه الفتى ودارت عيناه في محجريهما بقلق وذعر ... وأطرق

براسه ولم يجب ..

لم يفحص العلبة .. ولم يفحص الأوراق المالية ..

كانت المفاجاة اعظم مما توقع .. فاضطرب ذهنه .. ولم يسعفه بجواب ..

شعر بان غريمه قد تغلغل في اعماق نفسه .. وفضح سرا كان يعتقد انه بمامن من الافتضاح .

كان صمته وإطراقه بمثابة الاعتراف ..

بيد أن "باربيه" لم يترك له فرصة للتفكير والاستعداد بل استانف هجمته العنيفة .. وراح يقول :

- لايزال في استطاعتك ان تنقذ راسك من المقصلة ايها التعس. وسيلتك الوحيدة لذلك هي أن تعترف كتابة .. وتزعم انك تكتب الاعتراف تحت تاثير وخز الضمير .. وسوف يضع رجال العدالة ندامتك موضع الاعتبار .. سيما انها جاءت في الوقت المناسب لإنقاذ بريء من الإعدام .. إليك القلم .. والورق .. فاكتب اعترافك . إنك كنت في الحق سيئ الحظ يا فتى .. رغم أن حيلتك الأخيرة كانت مدبرة أعجب تدبير .. أليس كذلك ؟..

كانت الأوراق المالية عندك .. وكنت تعلم انها اهم دليل ضدك .. فلما رايت الريب والشكوك تحوم حولك .. خطر لك في الحال أن تتخلص من هذه الأوراق .. فماذا تفعل ..؟

ليس اسهل من الالتجاء إلى حيلة لابد انك جربتها استعدادا للطوارئ .. ولابد انك أيقنت من صلاحيتها، فوضعت على النافذة انية ماء مستديرة .. مصنوعة من البلور السميك .. فسقطت اشعة الشمس من النافذة على الآنية .. واصبحت الآنية عندئذ بمثابة عدسة تجمع اشعة الشمس في بقعة واحدة ..

وقد دبرت كل شيء سلفا بحيث تسقط هذه البقعة على علبة الورق .. وقد كان ذلك هو السر في غضبك واحتجاجك عندما انقل اي شيء من موضعه في أثناء التفتيش .

تركزت إذن بقعة الأشعة على جدار العلبة .. وهو مصنوع من الورق ومغطى بطبقة رقيقة من الحرير ..

ولم تكد تنقضي بضع دقائق حتى التهبت طبقة الحرير بحرارة بقعة الأشعة .. فاحترقت .. واحترق معها نصف العلبة .. وبعض الأوراق المالية .. ولولا اننا جئنا في الوقت المناسب لتلاشى كل اثر لجريمتك .

حيلة بديعة رائعة .. يجب ان اهنئك عليها

والآن .. إليك القلم والورقة ..

دفن "دوتري" وجهه بين كفيه .. وراى "جانيمار" دموع الياس تنحدر من بين أصابعه .. فنظر إلى "باربيه" نظرة من يقول :

"يالك من شيطان"

بيد أن "باربيه" كان يريد ان ينفض يده باسرع ما يمكن فانحنى فوق "دوتري" وقال :

- اكتب ولا تضيع آخر فرصة للنجاة من الإعدام .. إن الادلة ساطعة قوية .. ولم يعد في مقدورك الخلاص من تبعة الجريمة .. فتناول الفتى القلم .. وكتب ما أملاه عليه "باربيه" ..

وطوى "باربيه" وثيقة الاعتراف .. ودفعها إلى "جانيمار" وهو يقول :

- هو هاذا قاتل "جاك أوبريو" .. وها هو ذا اعترافه ..

فغمغم "جانيمار" :

- هذه أول مرة تعمل فيها لوجه الحق ..

فقال "باربيه" وهو يبتسم

- بل قل إنها أول مرة أخرج فيها خاسرا .. فقد ضحيت ببعض الأوراق المالية لأحصل على اعتراف هذا التعس ..

(٤)

الفيل الأبيض

ترك "جانيمار" القطار في محطة "باسكور" وراح يسرع الخطى في الطريق المؤدي إلى المدينة. كان البرد شديدا. وقد غطت الأرض طبقة من الثلج، ففرك يديه بشدة.. ثم دسهما في جيبي معطفه ..

ثم خيل إليه وهو يسير أن شخصا يسرع الخطى في اثره كانه يطارده او يحاول اللحاق به .. فنظر خلفه وإذا به "باربيه" ... وعلى وجهه تلك الابتسامة الساخرة التي طالما رآها كلما قصد هذا الشيطان إلى مداعبته والهزء به ....

وقف "جانيمار" في مكانه وسال في دهشة :

- انت هنا .. ماذا جاء بك ؟

فاجاب "باربيه" :

- ماذا جاء بي ؟ .. إن بين القلب والقلب رسولا .. وقد شعرت بانك ستحتاج إلى معونتي .. فاسرعت لنجدتك ..

- احتاج إلى معونتك ..؟

- الست في طريقك إلى قصر "جورن"؟

فنظر إليه "جانيمار" في دهشة . وهتف :

- وكيف علمت ؟..

فابتسم "باربيه" وأجاب :

- هذا سر من أسراري

فعض "جانيمار" على شفته وقال :

- وإذا لم اكن بحاجة إليك ؟

- انا واثق بانك ستحتاج إلي ..

- قلت لك لن احتاج إليك ..

- في هذه الحالة سيحتاج إلى البريء الذي سوف تلقي به في

السجن ظلما ..

- إذا لم يكن لك عمل في قصر (جورن) فمن الافضل الا تذهب إلى هناك .. لانني لن اسمح لك في هذه المرة بان ..

- بماذا ؟

فنظر إليه "جانيمار" كانه يريد أن يقول :

انت تفهم ما اعني ..

وفهم "باربيه" ما يرمي إليه "جانيمار" فقال :

- ألم اقل لك مرارا وتكرارا إنني لا أعمل إلا لوجه الحق ..؟

- ولنفسك ..

- للحق اولا .. ولنفسي ثانيا .. ولا شك انك تقرني على هذا ياعزيزي "جانيمار" .. فانت تعلم أن مهنة المحاماة لا تدر الرزق على أصحابها دائما .. وأن هناك نفقات لابد منها ..

- ولذلك جئت الآن للاستيلاء على الماسة ..؟

فنظر إليه "باربيه" في دهشة .. ثم استدرك نظرته .. بان قال كمن هو على علم بما هنالك :

- يجب اولا أن نعرف من ذا الذي سرقها ؟

ونظر إلى "جانيمار" ليرى تاثير هذا السؤال .. ولاحظ في الحال انه اصاب الهدف ..

قال "جانيمار" :

الواقع أن القضية تبدو واضحة جلية .. وقد ابرق قاضي التحقيق إلى إدارة البوليس بملخص لها .. وطلب إرسال احد مفتشي البوليس على عجل لمعاونته في التحقيق ..

- فوقع الاختيار بالتاكيد على "جانيمار" العظيم .. ابرع من يحل القضايا الواضحة .

فكظم "جانيمار" غيظه .. ولزم الصمت

ولم يدر بين الرجلين حديث حتى وصلا إلى قصر (جورن) وهو قصر عتيق يقع في مزرعة مترامية الأطراف في ضواحي "باسكور" ..

وقد وجدا بباب القصر احد رجال البوليس .. فذهب بهما توا إلى غرفة في الطابق الاول من القصر حيث كان قاضي التحقيق في الانتظار ..

وقد قدم "جانيمار" نفسه إلى قاضي التحقيق بصفته الرسمية، وتقدم "باربيه" بصفته المحامي عن مدام "جورن".

وكانت دهشة قاضي التحقيق لهذه الصفة التي اتخذها "باربيه" أعظم من دهشة "جانيمار" .. فسأله:

- هل اتصلت بك هذه السيدة ؟

- نعم .. إنها ابرقت إلي في صباح اليوم من محطة (رونسيير)

- اه .. وإذن فانت لم تقابلها بعد ؟..

- كلا .. بيد أن ذلك لا يمنعني من معرفة التفاصيل ..

فسأله "جانيمار" في دهشة:

- كيف ؟ .. الا تعلم التفاصيل وقد كنت تحدثني منذ لحظة عن المأساة المفقودة ..؟

فأجاب "باربيه" وهو يبتسم:

- أؤكد لك انني سمعت عن هذه المأساة منك لأول مرة ..

- يالك من .. حسنا .. إنني على استعداد الآن ياسيدي القاضي .. فماذا عندك من الأنباء الجديدة ؟

فأجاب القاضي:

- سأسرد عليك التفاصيل من البداية فاصغ إلي .. لأن القضية تبدو لي غامضة غاية الغموض .. لسبب واحد .. هو عدم ظهور جثة القتيل.

تقيم في هذه الناحية أسرتان عريقتان .. هما أسرة "جورن" وأسرة "فينال" وكانت تربط بين هاتين الأسرتين حتى عهد قريب روابط الصداقة والتعاون .. إلى أن جاء "ماتيوس جورن" بزوجته الحسناء من باريس .. وقد شاءت المصادفات، كما فهمت من اقوال اهل هذه الناحية، أن يقع "جيروم فينال" في حب مدام "جورن" .. ولا يعلم أحد

هل كانت مدام "جورن" تبادله هذا الحب .. إنما المفهوم بصفة عامة أن "ماتياس جورن" ووالده .. وهو شيخ شديد الحرص على سمعة أسرته لاحظا نظرات "جيروم" الشاب إلى مدام "جورن" وضبطاه مرارا وهو يحوم حول القصر .. فهدداه بالقتل إذا أبصراه في املاكهما، ولم يقنعا بذلك .. بل حرما على الزوجة الشابة أن تبرح القصر إلا في رفقة زوجها أو والده .. وإني أضرب الآن صفحا عما يشاع عن سوء المعاملة التي كانت تتلقاها مدام "جورن" في قصر زوجها ..

وهنا سأله "باربيه":

- عفوا ياسيدي .. لي سؤال .. هل يقيم "ماتياس" ووالده معا في القصر ؟

- لا .. فمسيو "جورن" الشيخ يقيم وحده في منزل بالمدينة.

ثم استأنف قصته فقال:

- ولكن حدث أمس .. بينما كان رجال الشرطة يتجولون في هذه الناحية كالمعتاد .. أن دوت ثلاث طلقات نارية مزقت سكون الليل، وقد سمع رجال الشرطة هذه الطلقات .. كما سمعها صاحب المشرب الواقع على بعد كيلو مترين من هنا .. ولكن أحدا لم يستطع أن يتحقق من المكان الذي صدرت منه هذه الطلقات .. لأن الوقت كان منتصف الليل، أو بعد منتصف الليل بقليل ..

وفي الساعة السابعة صباحا .. وفد أحد خدم قصر (جورن) على الحانة .. وعبر لصاحب المشرب عن قلقه وجزعه .. لأنه ذهب إلى القصر كالمعتاد فوجد بابه مغلقا خلافا للعادة ولما طرقه بشدة لم يفتحه أحد

وكان أحد رجال الشرطة يتناول طعام الفطور في المشرب فتذكر الطلقات النارية التي سمعها في منتصف الليل وأوجس خيفة .. وشاركه في هذا الشعور صاحب المشرب .. وهكذا قرر الثلاثة أن ينتقلوا إلى القصر لاستطلاع الحالة ..

وفي الطريق .. قابلهم مسيو "جورن" الشيخ راكبا عربته التي اعتاد

أن يتنزه بها في صباح كل يوم .. فلما سألوه عن ولده أجاب بأنه لم يره .. ولما حدثوه بقصة الخادم الذي وجد الباب مغلقا خلافا للعادة .. ضحك وأجاب إن ولده قضى السهرة عنده وأنه ليس عجيبا أن يستغرق في النوم ..

وتركهم الشيخ ومضى في سبيله ..

بيد أنهم لم يقتنعوا .. وقصدوا إلى القصر .. وقرعوا بابه بشدة وصاحوا يدعون "ماتياس جورن" .. ولما لم يسمعوا جوابا .. صحت عزيمتهم على فتح الباب عنوة .. ونجحوا في ذلك .. ولما دخلوا غرفة الاستقبال ألفوا أثاثها مبعثرا .. وجميع الدلائل تدل على وقوع معركة.. ثم وجدوا باب غرفة مدام "جورن" محطما ، ولم يعثروا للرجل أو زوجته على أثر ..

وكان الثلج قد اشتد سقوطه ابتداء من الساعة التاسعة فغطى الأرض بطبقة سميكة احتفظت بآثار أقدام .. فتبع الشرطي وزميلاه هذه الآثار ، فقادتهم إلى بئر عميقة خلف القصر ، ووجدوا حول البئر آثار أقدام كثيرة مضطربة .. مما يدل على وقوع نضال هناك ، وعثروا على مسدس ثبت فيما بعد أنه مسدس " جيروم فينال"، ووجدوا بالمسدس أربع رصاصات ، أما الرصاصات الثلاث الأخرى فقد وجدت فارغة ، وملقاة حول البئر ، مما يدل على أنها الرصاصات التي سمع القوم دويها في منتصف الليل .

وشعر الشرطي إزاء ذلك أنه أمام آثار تدل على وقوع جريمة .. فأبلغ الأمر إلى ذوي الشأن .. وانيط بي تحقيق الحادث ..

فسأل "جانيمار":

- وبماذا انتهى التحقيق ؟

- إنني وصلت بالتحقيق إلى نتيجة يحسن بي أن أظهركما عليها على ضوء الآثار التي وجدت على الثلج .. التي لاتزال كما هي ولم يطرا عليها ما يطمسها أو يضيع معالمها ..

انتقل قاضي التحقيق بـ "جانيمار"و "باربيه" إلى خارج القصر

وأشار إلى آثار أقدام على الثلج وقال :

- هذه هي آثار أقدام "ماتياس جورن" .. وهي متعرجة كما تريان .. مما يدل على أن صاحبها كان ثملا كما قال "جورن" الشيخ ..

وتنتهي هذه الآثار عند الباب الداخلي للقصر.. ويظهر أثر آخر يبدأ من هذا الباب الداخلي .. وينتهي إلى البئر .. وهو أثر جسم ثقيل جذب فوق الثلج ..

فسأل "باربيه":

- وماذا فهمت من هذا الأثر ياسيدي ؟

- فهمت منه أن الشخص الذي اشترك مع "ماتياس جورن" في عراك بقاعة الاستقبال .. قد استطاع أن يتغلب على هذا الأخير، ومن المحتمل أن يكون قد ضربه ضربة أفقدته الرشد .. ثم اجتذب جسم غريمه حتى حافة البئر .. وهكذا محا الجسم أقدام المعتدي..

- ولكننا لم نر على الثلج آثار أقدام الشخص الدخيل الذي اعتدى على "ماتياس":

فأجاب القاضي :

- لقد لاحظت ذلك .. ولكن وجدت التعليل الصحيح لهذه الظاهرة وهو أن المعتدي لابد قد جاء إلى القصر قبل سقوط الثلج .. فاختبأ في غرفة الاستقبال .. وكمن هناك في انتظار "ماتياس جورن" ..

فقصد قاضي التحقيق مع زميليه إلى حافة البئر .. وأشار إلى آثار الأقدام واستطرد:

- وها نحن نرى أولاء هنا آثار أقدام "ماتياس جورن" مرة أخرى ، ومعها آثار أقدام ثقيلة .. وبالقرب منها المسدس وقد فهمت من ذلك أن "ماتياس" أفاق من إغمائه هنا .. وناضل غريمه نضالا عنيفا .. فأطلق عليه غريمه الرصاص وقتله ..

فقاطع "باربيه" القاضي بقوله :

- وقذف بجثته في البئر ..

- هو ذاك .. ومن ثم اتجهت الأقدام الثقيلة إلى سور القصر ..

واختفت هناك . ولكنها عادت إلى الظهور في المزارع . خلف سور القصر . وقد تتبعتها عن كثب .. حتى انتهيت إلى قصر "جيروم فينال".

فسأل "باربيه" :

- هل بحثتم عن الجثة في البئر ؟

- إن المعروف عن هذه البئر أنها شديدة العمق وأنها متصلة تحت الأرض بنهر السين ، ولاشك أن الجثة ستظهر بعد يومين أو أكثر إما في هذه البئر ، وإما في النهر .

- هذا تعليل بديع ، ولكن بماذا تفسر اختفاء مدام "جورن" .. ؟

- إننا نجد هذا التفسير في بابها المحطم ، وفي أثر هذه الأقدام الثقيلة .. إذ ليس من الطبيعي أن تغوص أقدام الإنسان في الثلج إلى هذا العمق .. إلا إذا كان يحمل حملا ثقيلا ..

- تعني أن القاتل دخل غرفة مدام "جورن" عنوة ثم حملها على كتفه وعاد إلى زوجها ، فراح يجتذب جثته وراءه ثم قذف بالزوج في البئر وهرب بالزوجة ؟

- نعم .. وها هي ذي الآثار تنطق بكل شيء .

- دعني أهنئك ياسيدي ، إنك أصبت كبد الحقيقة بذكائك ودقة استنتاجاتك .

- ليس هذا كل ماهنالك ، فقد اكتشفت كذلك أسباب الجريمة وملابساتها ، وقبضت على القاتل .

- قبضت على القاتل ؟

- نعم .. والقاتل هو "جيروم فينال" ..

- والدافع إلى الجريمة هو الحب بالتأكيد

- الحب وشيء آخر .. الحب والجشع . فقد جاء في أقوال الشيخ "جورن" : إن والد "جيروم فينال" نزلت به قبل وفاته أزمة مالية فرهن عنده ماسة نادرة ورثها عن أبيه الذي قضى أكثر حياته في الهند .. وكانت هذه الماسة الثمينة في حراسة "ماتياس"، وقد وضعها هذا

الأخير في خزانته الحديدية بالقصر . ولما علم "جورن" الشيخ بما حدث في القصر خف على عجل ، وأرشدنا إلى مكان الخزانة ، وهي في الغرفة المجاورة لغرفة الاستقبال .

وقد وجدنا الخزانة مفتوحة . ولم نعثر للماسة على أثر ..

- وهل تعتقد أن "جيروم فينال" هو السارق ؟

- إنه القاتل والسارق ..

- ألم يختف من الخزانة شيء آخر ؟ ..

فقلب القاضي شفتيه وأجاب :

- بل اختفت بعض تحف لا قيمة لها .. هي طائفة من الفيلة البيضاء المصنوعة من العاج . وقد ذكر "جورن" الشيخ أنها أهديت إليه من والد "جيروم".

- وإذن فقد استرد "جيروم" ماسة جده وهدية أبيه .

- نعم ! . وقتل "ماتياس" واختطف زوجته ..

- هذه تهمة خطيرة ..

- والأدلة قوية كما ترى .. ولكن ماذا قال "جيروم فينال" حين وجهت إليه التهمة .. ؟

فأجاب القاضي :

- إنني لم أستجوبه بعد ..

- كيف ؟

- لقد ذهبت إلى قصره .. وهناك علمت أنه خرج مبكرا .. وبرفقته مدام "جورن" فأدركت في الحال أنه سافر بأول قطار .. ولما كان هذا القطار يقضي في (رونسيير) ثلاث ساعات قبل أن يستأنف سفره إلى باريس .. فقد اتصلت تليفونيا برجال البوليس في (رونسيير) وذكرت لهم أوصاف "جيروم" وصاحبته .. وطلبت إلقاء القبض عليهما .. والعودة بهما إلى هنا .. وأنا الآن في انتظارهما ..

وما كاد القاضي يتم كلامه .. حتى طرقت آذان القوم أصوات جلبة في الخارج .. ثم دخل ثلاثة من رجال البوليس .. وبينهم شاب وفتاة...

– ها هما ذا .. قد جيء بهما ، سننفض ايدينا من هذه الجريمة باسرع ما يمكن ..

– هذا في الحق فوز ساحق سريع جدير بالإعجاب.

وساروا لمقابلة القادمين في منتصف الطريق .. ودهش "جانيمار" حين رأى مدام "جورن" تشق طريقها إلى "باربيه" ، وتلقي بنفسها بين ساعديه ..

قال لها "باربيه" وهو يبتسم :

– اطمئني يا معلمتي .. فقالت وهي تنتحب :

– هل علمت ؟ ..

– نعم ! .. نعم ! .. علمت بزواجك غير الموفق .. ولكن كوني مطمئنة..

ثم التفت إلى "جانيمار" وقال :

– دعني اقدم إليك مدام "جورن" ..

فمد "جانيمار" يده ليرفع قبعته تحية للزوجة الشابة ثم وقفت يده في منتصف الطريق إلى رأسه .. وهتف كالمأخوذ :

– يا إلهي .. "هافلين" ..

– نعم .. أستاذة البيانو سابقا .. ومدام "جورن" حاليا ..

قال قاضي التحقيق :

– يجب أن نسمع أقوالهما في الحال ، ولكن على انفراد ..

ثم التفت إلى "هافلين" واستطرد :

– هل لمدام "جورن" أن تلزم غرفتها حتى ادعوها .. ؟

وقصد قاضي التحقيق وزميلاه والشاب المتهم إلى قاعة الاستقبال ، وبدأ تستجوب "جيروم فينال" ..

– هل تستطيع أن تذكر لي كيف قضيت ليلة الأمس؟ ولماذا قررت السفر مع مدام "جورن" ؟

– بالتأكيد .. فالمسألة غاية في السهولة .. وساسردها بالتفصيل إنني رأيت مدام "جورن" هنا منذ ثلاثة أشهر .. اي عقب اقترانها بمسيو "ماتياس جورن" .. فاحببتها من أول نظرة واحترمتها كزوجة.

وأؤكد لكم انني لم أتحدث إليها قط قبل هذه الليلة ..

وصمت لحظة ثم استطرد :

– لم يكن لهذه الزوجة التعسة من ذنب إلا انني احببتها وإلا انها اقترنت برجل غيور إلى حد الجنون .. وقد لاحظ زوجها انني اتجول في بعض الأحيان حول هذا القصر .. فضيق عليها الخناق .. وحبسها. وقد سمعت من اهل هذه الناحية كلاما كثيرا عن المعاملة السيئة التي كانت تعامل بها .. وأيد هذا الكلام مالاحظته مرة من امتقاع وجه المسكينة وشحوبها وهزالها .. فقررت اخيرا ان اضع حدا لما تعانيه الزوجة البريئة ولما كنت من اعلم الناس بنفسية "ماتياس جورن" وجشعه .. فقد خطر لي أن أبتاع سعادة زوجته .. واعتزمت إبرام الصفقة ليلة أمس وحوالي الساعة الثامنة .. قرعت باب القصر .. ففتحه "ماتياس" بنفسه لان خدمه يبيتون في بيوتهم بالمزرعة ..

فقاطعه القاضي :

– صبرا لحظة .. إن ما تذكره هنا يغاير الحقيقة ، فانت تقول إن "ماتياس جورن" كان في قصره حوالي الساعة الثامنة ، بيد ان هناك حقيقتين تكذبانك ، الأولى شهادة الشيخ "جورن" وقد قرر ان "ماتياس" انصرف من منزله حوالي الساعة الحادية عشرة ، والثانية اثار اقدامه على الثلج ، وقد ثبت أن الثلج لم يهبط قبل الساعة التاسعة ..

– إنني اسرد الحوادث كما وقعت يا سيدي . لا كما تستنتج ..

فتح "ماتياس" الباب إذن فقلت له بصوت هادئ :

"إن عندي ما اريد ان اقوله لك يا سيدي" ..

فلم يجب .. وذهب بي إلى غرفة الاستقبال بعد أن اغلق الباب ، وكان ينظر إلي طول الوقت بحذر وارتياب ، ولعله كان يخشى أن ابطش به ، لان أول شيء فعله بعد أن استقر بي المقام في غرفة الاستقبال انه جاء ببندقيته ووضعها بالقرب منه ..

ولكي اطمئنه اخرجت مسدسي من جيبي ووضعته على المائدة بعيدا عن متناول يدي .. ثم بدأت اساومه ..

كنت أعلم أن هذا الرجل وأباه يقرضان الناس بالربا الفاحش . وأن "ماتياس" بصفة خاصة يضع المال فوق كل اعتبار حتى اعتبار الشرف.

قلت له إن أبي رهن عنده ماسة نفيسة لا يقل ثمنها عن مائتي الف فرنك . وقد رهنها مقابل عشرين الفا من الفرنكات فقط .. وإن في نيتي استرداد هذه الماسة ودفع المبلغ المطلوب ..

فأجاب ولكن بلهجة لا تنم عن الارتياح :

- حسنا .. هات المبلغ الذي اقترضه ابوك وخذ ماستك ..

- إنني افكر في الإقامة نهائيا في باريس .. وفي نيتي أن أبيع قصري وأملاكي جميعا .. وهي كما تعلم تقدر بمائة الف من الفرنكات.

- أعلم ذلك ..

- بيد أنني على استعداد لأن اترك لك املاكي جميعا في مقابل أن ترد إلي الماسة . لأنها تراث أحب الاحتفاظ به .. وفي مقابل أن تطلق زوجتك . وأن ترد إليها حريتها ..

- حسنا .. قبلت .. اكتب صك التنازل عن املاكك وهات الماسة. وقدم إلي ورقة وقلما .. وفتح الخزانة .. ووضع الماسة امامي ..

بيد أنني ما كدت أوقع باسمي على صك التنازل عن قصري وممتلكاتي ، حتى شعرت بضربة هائلة على رأسي ، كادت تفقدني صوابي ..

ولا شك أن التعس قد ظن أن الفرصة سانحة للانتقام واستلاب ممتلكاتي ، والاحتفاظ في ذات الوقت بالماسة الثمينة ، بيد أنه غفل عن حقيقة الموقف ، ونسي أنني أقوى منه .. ومن حسن الحظ أن الضربة ضعضعت حواسي مؤقتا . ولكني سرعان ما جمعت قواي .. وألقيت بنفسي عليه ، ودارت بيننا معركة انتهت بغلبتي لأنني لكمته لكمة أفقدته الرشد ..

ثم تناولت الصك فوضعته في جيبي .. وتركت له ماسته .. وخطر لي وقتئذ خاطر فأسرعت إلى غرفة "هافلين" وطرقت بابها فلم أسمع

جوابا .. ووجدت المسكينة ممدة على الأرض وقد أغمي عليها ...

كان من المرجح أنها سمعت الحديث الذي دار بيني وبين زوجها واحست بالمعركة التي نشبت بيننا فاستولى عليها الذعر إشفاقا من النتيجة .. وأغمي عليها .. حملتها بين ساعدي .. وانطلقت بها إلى قصري ..

وهناك فقط علمت من "هافلين" أنها تبادلني شعوري .. وبعد أن استعرضنا الموقف .. تم الاتفاق بيننا على أن انقذها من قسوة زوجها وعسفه وأن اضعها في مكان امين بباريس وكنا على يقين من أن "ماتياس" الذي يعبد المال سوف يجد نفسه أمام الأمر الواقع ، فيقبل الصفقة التي عرضتها عليه ..

وهنا انتهت قصة "جيروم فينال" .. ففكر القاضي لحظة ثم قال:

- إنني على استعداد لتصديق هذه القصة التي سردتها بلهجة تنم عن الصراحة والإخلاص، بيد أن هناك نقطة مهمة غاب عنك تفسيرها .. وهي : ماذا حدث لـ "ماتياس جورن" ؟ أنت تزعم انك تركته هنا .. في هذه الغرفة، ولكن أحدا لم يقع له على اثر .. فاين ذهب ؟

- ذلك مالا علم لي به ..

- من المؤكد أنه لم يبرح هذا القصر .. بدليل اننا لم نجد على الثلج أثر أقدام تدل على انصرافه .. و وجدنا فقط أثره بالقرب من حافة البئر ..

- هذا مالا استطيع تفسيره ..

- والماسة .. ؟

- قلت إنني تركتها فوق هذه الطاولة ..

- وبماذا تفسر وجود مسدسك بالقرب من البئر وانطلاق بعض رصاصاته ؟

- لا أعلم . إنني تركت المسدس والماسة على الطاولة .

وجيء بـ "هافلين" .. واستجوبها قاضي التحقيق .. فجاءت أقوالها مطابقة لما ذكره "جيروم فينال" .. سألها :

- هل سمعت دوي الطلقات النارية .. ؟ فأجابت :
- لا ..
- متى أفقت من إغمائك ؟
- في بيت "جيروم فينال"
- ألم تشعري بما وقع حول البئر ؟
- نعم لم أشعر بما وقع حول البئر
- إذن أين ذهب زوجك .. ؟
- لا أعلم ..
- أصغي إلي يا سيدتي .. إن من واجبك أن تساعدي العدالة على تحقيق هذه القضية .. هل تعتقدين أن زوجك ذهب ضحية حادث .. ؟ لقد قرر "جورن" الشيخ أن ابنه أسرف في الشراب ليلة أمس خلافا للعادة. فهل يحتمل أن يكون قد ضل طريقه وفقد توازنه .. وسقط في البئر ؟
- عندما عاد زوجي أمس لم يكن ثملا ..
- لقد صرح أبوه بأنه كان ثملا ..
- إنه أخطأ ..
- ولكن الثلج لا يخطئ ، وآثار أقدام زوجك على الثلج تدل على اضطراب مشيته ..
- لقد عاد زوجي قبل الساعة الثامنة ، أي قبل هبوط الثلج .
- إنك تضللين العدالة يا سيدتي .. إنك تحاولين تكذيب الأدلة المادية الناطقة ، إن الثلج ينطق بالحقيقة التي ليس إلى دحضها سبيل .
وخرج "باربيه" فنظر القاضي إلى "جيروم" وقال :
- استعدي يا سيدتي لأن ترافقي "جيروم" في سيارة البوليس..
وهنا تدخل "باربيه" في الأمر وسأل :
- هل معنى ذلك أنك تنوي القبض عليها ؟ ..
- وهل في ذلك شك ؟ إن الثلج ...
- حسنا ، ومتى ستحضر سيارة البوليس ؟

- بعد ساعة على الأكثر ..
- شكرا لك ، إن ستين دقيقة فيها الكفاية ..
- حسنا .. يؤسفني أن ألقي القبض عليك ؟
- و"هافلين" ؟ ..
- ستذهب برفقتك ..
فأطرق الشاب برأسه وخطا نحو الباب .. بيد أنه لم يكد يتقدم بضع خطوات .. حتى فتح الباب .. ودخل "باربيه" وعلى وجهه ابتسامة ... وقال :
- حمدا لله .. لقد جئت في الوقت المناسب .. إن هذا الرجل بريء يا سيدي القاضي ...
- هل جئت بالدليل ؟ .. أعني الدليل المادي .. نريد دليلا ملموسا، وإلا عبثا تحاول تعطيل سير العدالة .. فقال "باربيه" :
- سأقدم إليك دليلا يسيل له لعابك ..
وابتسم ..
- هل تستطيع أن تدلنا على مكان "ماتياس جورن" ؟
- إنه الآن في طريقه إلى باريس يا سيدي ..
- في طريقه إلى باريس .. ؟
- نعم .. لاتخاذ الإجراءات اللازمة لتطليق زوجته .
- لتطليق زوجته ؟ هو على قيد الحياة إذن ؟
- نعم .. ويتمتع بكامل الصحة ..
- يسرني أن أعلم ذلك .. ولكن ما معنى الآثار التي وجدناها حول البئر .. وما معنى الطلقات النارية إذن ؟
- إنها حيلة مدبرة ..
- حيلة مدبرة .. ومن ذا الذي دبرها ؟
- "ماتياس جورن" نفسه ..
- هذا عجيب .. وما غرضه ؟
- كان يرمي إلى غرضين .. الأول أن يتهم "جيروم فينال" بقتله،

والثاني أن يستولي والده على مبلغ مائة الف فرنك .. كان "ماتياس" قد أمن بها على حياته لدى إحدى شركات التامين ..

- يا للسماء .. ولكن هل كان في استطاعته الاختفاء إلى الأبد..؟
- كان في نيته الرحيل إلى أمريكا ..
- هل أفهم من ذلك أن "جورن" الشيخ كان على علم بحيلة ولده؟
- إنهما وضعا الخطة معا ..
- إذن فقد تقابلا ؟
- نعم .. وقد قضيا بقية الليل معا .. وافترقا في الصباح ..

وهنا خرج "جانيمار" عن صمته وقال :

- كل هذه فروض نظرية ..

فاجاب "باربيه" وهو ينظر إلى القاضي :

- إن الثلج هو دليلنا الساطع ..

فصاح القاضي :

- لو كان "ماتياس جورن" قد ذهب ليلا إلى بيت أبيه كما تزعم، إذن لاكتشفنا على الثلج أثر أقدامه عند انصرافه من الباب .
- هذا الأثر موجود على الثلج ..
- إن الأثر الذي وجدناه يدل على دخوله لا خروجه .
- سيان ..
- كيف ذلك ؟
- ليس من الضروري دائما أن يخرج الإنسان ووجهه إلى الباب ..
- ماذا تعني ؟
- لقد سار "ماتياس جورن" القهقرى حتى وصل إلى الباب الخارجي

فساد صمت عميق .. واستطرد "باربيه" :

- إذا أردت أنا مثلا أن أصل إلى هذه النافذة ... فإن في استطاعتي أن أسير إليها مباشرة ، ووجهي نحوها ، ولكن في استطاعتي كذلك أن أصل إليها وأنا أسير القهقرى وإذن فالحادث تفسيره هكذا :

في الساعة الثامنة أو قبلها .. وصل "ماتياس" إلى القصر قبل

هبوط الثلج ..

وقبل هبوط الثلج كذلك وصل "جيروم فينال" .. وتقابل الرجلان وتشاجرا ... وتغلب "فينال" على "ماتياس" واختطف مدام "جورن" .. ولما عاد "ماتياس" إلى رشده .. ورأى ما حدث استولى عليه الغضب وتفتق ذهنه عن طريقة جهنمية للانتقام .. فاصطنع جميع الآثار التي حول البئر ثم خرج من الباب الخارجي وهو يسير القهقري .. وبذلك بات يخيل للناظر إلى أثر أقدامه على الثلج أنه دخل ولم يخرج ..

وقد لفت نظري إلى هذه الحقيقة اضطراب آثار الأقدام لأن الإنسان لا يستطيع أن يسير القهقري في خط مستقيم إلا بعد تجارب عديدة .. ولذلك حاول الشيخ "جورن" أن يبرر هذا الاضطراب بأن ابنه كان ثملا ..

فدهش القاضي .. وظهرت علامات الاهتمام على وجهه وسأل :

- وكيف خرج من بيت أبيه إذن ؟
- خرج في المركبة التي كان أبوه يقودها في الصباح.
- تعني أنه كان مختبئا فيها .. ؟
- نعم ..
- وإلى أين ذهب به أبوه ؟
- ذهب به إلى يخته في نهر السين .. وهذا اليخت هو المكان الوحيد الذي لم يخطر لكم أن تفتشوه، ولو كنتم استفسرتم عن المكان الذي قصد إليه "جورن" الشيخ بمركبته في الصباح .. إذن لعرفتم المكان الذي لجأ إليه "ماتياس".

فهتف "جانيمار" :

- كل هذا لا يعدو أن يكون مجرد افتراض.

فنظر إليه "باربيه" شزرا وقال :

- بل لدي الأدلة القاطعة .. أتريد دليلا أسطع من هذا .. ؟

وأخرج من جيبه تمثالا صغيرا من العاج يمثل فيلا ..

فهتف القاضي :

- وأين الماسة .. ؟

فحرك "باربيه" تمثال الفيل بين أصابعه ، فانشطر التمثال إلى شطرين ، وسطعت الماسة في جوف الفيل ..

قال وهو يرد التمثال إلى حاله:

- عندما فاجأت "ماتياس" في اليخت .. هم بإلقاء تماثيل الفيلة البيضاء من نافذة اليخت ، وهو يعلم بالتأكيد أن ماء النهر متجمد ، وأنه لا خوف على الماسة .. ولكني حلت بينه وبين التخلص من أدلة براءة "جيروم" ، وأمطت اللثام عن حيلته ، وعن جريمة الاحتيال التي أحكم وضعها لاختلاس مبلغ التأمين ..

بيد أنه كان شابا لين العريكة .. وسرعان ما اتفقنا على إنفاذ الصفقة التي عرضها عليه "فينال" ، وسيصلك صك التنازل موقعا بإمضاء "جيروم" فور صدور الحكم بالطلاق ..

ثم استطرد :

- والآن يا عزيزي "جانيمار" .. ها هي ذي الماسة .. وفي استطاعتك أن تردها بنفسك إلى "جيروم" بعد إتمام الصفقة أما أنت أيتها العزيزة .. فإنني أقدم إليك هذا على سبيل الهدية بمناسبة زواجك قريبا بمسيو "فينال"

وقدم إليها تمثال أحد الفيلة ، وانصرف وهو يقهقه .. نظر القاضي إلى "جانيمار" وغمغم :

- إنه رجل غريب الأطوار ...

- فقال "جانيمار" :

- ولكنه ذكي

- هل اقتنعت بأدلته وتفسيره للحادث ..

- لا شك في أنه وفق حيث فشلنا ..

ولكنه ما كاد يلقي نظرة على جوف التمثال حتى أفلتت من بين شفتيه صيحة ذعر .. ودهشة ..

ذلك لأنه لم ير أثرا للماسة .. بل وجد عوضا عنها قصاصة من الورق فبسطها بين أصابعه وقرأ فيها : "هكذا تحل المعضلات أيها المغفل

"لوبين" ..

فسب وشتم .. وألقى بالتمثال من يديه وأسرع نحو الباب ليلحق بـ"باربيه" ..

ولكن "هافلين" كانت في هذه الأثناء قد شطرت تمثال الفيل الذي قدمه إليها "باربيه" إلى شطرين .. فوجدت الماسة الثمينة في جوفه ومعها قصاصة من الورق كتب عليها :

"هدية مني إليك .. بمناسبة زواجك"

تلميذك البليد

"أرسين لوبين"

تمت بحمد الله